

صهوة الأسياء

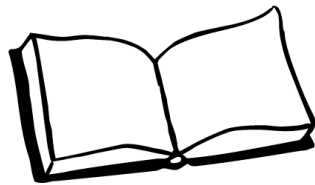
الزوين نور الدين

رواية

صحوة الأشياء

رواية

الزین نور الدین



قصص وحکایات
للنشر الإلكتروني

دار

kesasandhekayatpub.blogspot.com

العنوان: صحوة الأشياء

النوع الأدبي: رواية

المؤلف: الزين نورالدين [\(نبذة\)](#)

قوة السرد: كتابات إبداعية

المُدقق اللغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحي

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغلاف: فريق عمل الدار

سنة النشر: 2020

الحالة: تم النشر ورقياً من قبل...

رقم الطبعة الإلكترونية: 2

رقم الكتاب بالدار: 61

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني 2020

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكتاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكتاب وحدهم المسؤولون عنها.

[الموقع الصفحة الجروب](#)

بدء الكلام لغير المأثور

. ما قبل الحكى:

أجمل ما فى الكتابة هو قرارها العدمى، و انهارها بهذا الحمل بفتح الحاء الذى طافوا به كل تلك الفراغات، أى هو دهشتها وانفتاحها السحري على قبحية اللون والخدم، ان كانوا فعلا خدما حسب الحكاية، و انفتاحها على الآخرين المنهزمين داخل الأمكنة الأكثر حساسية بقبحها الفنى النبوى، ثم تحديها للموت فى تشييمها الزمنى التراثى...انها كتابة ضد النسيان، اننا نكتب داخل عشرين رواية أخرى...وما التلقى سوى أنه كل واحد منا يعيد سرد ذاته بحكى فى شئ من اكتشاف العادى، خلال تماهيه مع المنصت اليه أو القارئ باغراء من ذاته الشبقية، وهو مسكون بفواجعه من جراء التاريخ من جراء تدمير ذاته الجنسية والجنسانية، كبوابة للتاريخ الأدمى والدموى مع حواء الفجيعة وكجسم طارئ على الأرض الكونية المستحوذ مدادها على الكتابة كفضيحة جنسية مادية مضللة لجمالية التراث البشرى، داخل عنفية الارث الفقهى، فى بعديه الدينى على كافة الأجناس البشرية، والتشكيك فى ممارسته للمعنى الانسانى من خلال تعدد الكوائن والأصوات بين العاقل وغير العاقل، من داخل هذا المسرد النصى، الذى يحاصر حتى الجازية، لكن فى مستحيل الكتابة الأبدية، كفعل حضارى، لبداية أولى الكتابة الغير قادرة على الثبات أى { الرواية} هي التي سوت فى الحكى بين الملك والقرد والعبد بلونه الغير المرغوب فيه قدريا، أو

بين الأمر والعبيد مرة أخرى ، هذا حين يتعلق الأمر بلحظات العظمة والجنون عثرة السيد سقوطه ارضا ونجوة العبد، واستبقاء الدلالة على انتصابها ومقاومتها، لبعدها الجمالي مع البغلة، وانهار أولئك في ذيلها، دوران السمة المشتتة للتاريخ، كلحظات الحلم المجاني أو للقبض على شيء من الأثر الشعوذي كمقاومة لأجل الرغبة في الوجود وحرية ضد التهامش، في اللحظة المشكك فيها للنص المستفيق على تعدد الأصوات، في اللحظة المثيرة للغرابة غرابة الرعشة المركزية للسرد التي تلتح بياض الورقة بفحم سدج وسط الورقة، في واقع هو لأجل المحو لستر فضيحة النص الانسي الغير المتساوي الأدوار أي تلك الأدوار الغيرية وهي على خشبة الوجود السردى، كما حاولت غيرية العقل الفقهي تبرير وستر فضيحة أبي ذر الغفاري وحنونه تجاه اللون في حد ذاته، أي بداية اقضاء الفكر الاسلامي للون وهي قضية جمالية هامشية جدا في رواية { صحوة الأشياء }، وعدم تبرير عنصرية شخص ما أو يهودي ما وغيره كتحايل على العقل التاريخاني، لكن برؤى متفاوتة في درجات المحو والتزوير والاثبات للتاريخ الجهوي المغتصب، للحقيقة، كأن تمارس لعبة الخفي والظهور للتشكيك في أولى الصور الدلالية المضللة لايحاءات التاريخ، ومن ثم تعيد سرد بدء اللغة المعاشية كسيرة لظل الرب على الأرض، اي امانة الانسانية الخاصة بملك القارىء، لا الكلام الفرداني المبتذل من سيرة المأثور المجاني كما وقع في لحظته التراثية، وباعتباره غير مقدس على الاطلاق { التراث }، لا كما يجب أن يكون في الراهن.

الزين نورالدين : صيف 2009 / 2010

°°°

استيقظت مذعورة مكممة الفاه بأسلاك برونزية وفارسية الصنع من الشفة السفلى إلى العليا ، وهي تشتبك مع كبير العفاريت الذي يلف رأسه غيم السماء.مد لها صهر العفريت الذي كان يتحرك فوق مقعد حديديا، دينارا فضيا عملته من العالم الآخر،حتى تصورت فيه ملامحها من شدة اللمعان كالمرآة. تعشقت لتو لوجهها مشت على فراشها واستنطقت مشعوذها لسانها يتلو الفاتحة عكسيا،ثم صمتت، وفي الظهيرة دس لها في كفها النصف الآخر، فطلعت بحواشي الحكايا الأخرى.رغم غضب الحاشية،بعدها رأت في أول منامها أن الشائعات التي شككت في انحناءة جسدها البيض قد ولت بلونها الفاتر، وهي متسللة من صندوق أسود بعدما تشذخت ألواحه بلمسة عفريت.تقاسمت الرؤيا مع تمثال وسبعة عميان وثلاثة مصمومين وفارسان أبكمان يحملان على رقابهما أقواسا ونشاشيبا.بيد أن الأربعين سنة الأخيرة لم يبق منها إلا الذيل كزيد البحر المتأخر. كمن ألتمتها غيلان من الدخان وهي مكنسة الهامة.. ندمت على ما فرط منها فأستفتت عنه الرعاة والعجوز وبعض الأصحاء و لما علمت أنه أستدار عليه بظهره،لصالحها، خفق قلبها،وزاد من روعها أكثر لما منعه من السفر، بمفرده خشية أن يعترضوه آدان الجازية ا لخارجين عن طاعتها مع بغلته،فينهبوا في ذيلها ويقصوه على عجل،لأن هذه نعمة معجزة، ولاتكون الا عندها بالمرّة،حينها بدأت تفر من بين يديها بقية الأيام كالخيط الهلامي، تكسر حديثها يابسا من تحت إبطها ككيس هام بن نوح الجاف والملتوي على نفسه كحبة الرمان الفاسدة،فبكت حتى سمعتها

الصخور والكهاف والأعالي المألحة التي نجا فيها ابن ذاك النبي مع ابليس، وأندفن كل شيء معه إلى حيث يركن العصيان، ومع ربع قرن الأخيرة تقوس ظهرها، وسقطت في كل تفاصيل خيبة النفس الصغيرة والكبيرة التي أجبرتها على ذهاب ضحكتها المبرزة على أسنانها المضبوطة. أعادت لحظتها بالمرّة متنزفة وتكسر كل خيوط الصمت الملتفة على بيوت العنكبوت بدل تقطعها، قام بعضهم متهيئاً للهرب إلى واجهة اليابس ولكن للمرة العاشرة وهي تعد... وتقدم ملاحظات سريعة لمستشريها على أن تخلص الكلاب من بالها وتنزل بها إلى قاع الوديان، ذيولها في قمم الجبال و أفواهها تهتدي ليلاً بالنجم، والطين الثقيل يشد أرجلها إلى الأسفل،، وهي تفتتح عينها على حدثها، ولما أغمضتهما وجدت نفسها بداخل أولى بوابة متربة للجنة، والقرد يتغيظ منها ومن العبيد السود ومن حملهم وهي تهدي ألف ديناراً لحراسها استئذانا بالمرور حتى مضت ستة قرون كاملة، وهم يتنازعون معها رغبة في المزيد وأوهموا القردة أنهم يوضعون نفسه الآن في إناء قاعه من المطاط المتآكل بحثالة الصدا الذي قاده إلى افتقاد لونه الحقيقي الفاتح، فمهما يكن وقد تعمق بينهما الحديث إلى هوة كبيرة قادتهما إلى تنفس ما في عمقها رويدا رويدا، تأسست لجنة مركزية من العفاريات البيض، الذين اقساموا بمواقع النجوم على أن يرصدون السماء ويسدون كل المخافي والمغارات، إن تزوج العبد اليهودي بجارية العرش ومرور الغلام بدابته دون مراقبة وعارضته مصلوبة على ظهرها بخطها وحروفها ماتزال تقطرحبراً وان حدث العرس فسنقف على يساري الحفل كما فعلنا لما أوهمنا أحد الغربان من أن فقها قريشياً ورعا أعزباً، واحدى حفظة القرآن، بدأ يتعشق حباشية من رواة السنة، وقعوا حينها كل الفقهاء وجليسي الرسول بيانا على رق الغزال وأضافوا، سننكر بما يهذي ونتبراً من النبي {محمد} وجبريله، وسنقف على اليسار ان اقتدت الضرورة لذلك، قبل رحيل النخوة

العربية مع ساداتها وأيادينا تحمل شموع الظلام ولو تحالفا مع أنذل جنس يهودي وإقدامنا مشيا معه وأملا في إيجاد مخرجا قرب المغارة، ولكل هذه القضايا بما التي أستعصت على الرب. كان أحد المنشقين، ودون أن يعي ما يدور من حوله، أضرم النار في عظامه فتحولت جثته الى رماد داخل ذاته، فصار واحدا من أعجوبات الاله في ذات الرب، بدأ يهرم اللحظة قبل أن يتحول الى تمثال برونزي، ونيران القلوب تلتهم الصخور، نبشت على مكان غائر تحت عتبة البوابة كانت به بعض جماجم المتمردين، وإذ قد تحولت إلى تراب صديء، فلم أجد الا وتد من حديد، كان يربط فيه تلك الحية ذات الرؤوس المكورة، التي بدأ فوقها الورق مفحما كمن أضرم فيها النيران للمرة الثانية. فبدأ ينتاب قدمي البغلة موج بارد وهي من على صخور الشط الملساء الصافية، ثم يعود اليها فيداعب حوافرها، التي تزحزحت من عرش الماء الذي جف جراء فرار البحار نحو الأماكن الأكثر جفافا. أصطفت جميع جنيات الماء مكونة صفا واحدا، حول تلك موجة الشط الكاذبة الحواشي، فاجتمعن حول المحمول وزعانف حواشيا كالحوت الضخم، منقوشة بنفسجية حتى صارت تحوي شعيراتها كل ألوان صدف الصخر المزركش، و الضحك من منخرية الواسعتين ترسلا مباشرة حرارة ساخنة من رئتيه كبجار عتيق جدا، طرد الحشرات الطائرة العالقة برأسه لتو فعادت لتو من فمه، فلما أصرت على البقاء سكنت مطربة بهواء ضواحي الشرق عندنا ولاتفتح أفواهها الا في حالة النوم أو الموت، سمع ذوي انفجارات داخل رحم الأرض كان قد فرقها نقر من العفاريت فخرج الدجال يزحف والغبار يملأ عيونهم فأوقدت لهم صغار الملك الشمعدان، وساعفتهم على التخلص من الأنفاق، ثم مع مطلع قرص الشمس تحولت الى قردة مزهوة بنفسها، ولقد دخل زميل جدي الأول أبو حمو الثالث أو بوقلمون كما كان يلقب إلى فاس

ثم وهران تحت حماية أجدادي الأسبان، فلما تداخل الانسي مع الجان أجلت المحاكمة الدولية للنظر في قضايا وملفات اقبلت من بقية المداشر على ظهر جحش مبتور الأذنين والذيل، هو لأحد التوباشيمين أي أهالي اليهود كما تدعى بالعبرية، الذين توافدوا على الأراضي الجزائرية منذ القرن الرابع عشر والخامس وبعد سنة أصبح ذيله يشبه ذيل القردة قيل حسب رواية التاريخ أن هجوما من قبل قنفايد ضار عليه، وهو معبأ بأكياس الذهب والماس ينوي تمريره عبر حدودات العرب، سلب ما فيه وعوقب بذلك البتر على فعلته. وضع الملفات وأدنوا له بالعودة حيث أتى، فضرب حافره فنهب حتى اختفى مع الوادي بأدق الأشياء حيث توضع حتى الحجارة الكبيرة خلف الأبواب ترقبا لصرخات المارة الفارة من الغزو والنهب والسلب والتي عن تلك الأضرحة وحديدها التي عادة ماكان يتمسح به مغفلي العقول وعبدة الحجارة المضيئة والكاهنين والعرافيين وعرب الأندلس والمورسكين والميغورشميين أي يهود الأندلس بالعبرية واشبيليا تحت شمعدانات تشدها الحيطان خافتة الضؤ يعطرها الريحان وخصوصا في أوقات صلاة القدر من كل رمضان، يجلسن النسوة ويتكاثرن الثثرة هناك حتى مطلع الفجر ورائحة القدر وتزين الجو ملائكته وتعبق الأنوف الروحانية فيشد الحكواتيون الرحال في الصباح ويأتون لتدوين تلك السير الشفاهية، فتزدحم عقولهم بالأفكار ملقين حقائهم المصنوعة بالزعف والحشيش عرض الطرقات متوسطة استفهامات كثيرة تنساب تحتها جراح اليد ووقع آلام العيون التي أقسم أصحابها على أن يتركون وجوههم تنصهر شواظا فوق لهيب النار حتى لا تضيع حمرتها هباءا بألوانها المتدرجة الزرقة..قد شوشت الشفاه وكلهم على صحن الرأس فلما رأوا النيران اليهودية وهي شبه شهابات لم يدركها أحد الملائكة الجدد وهي تقسم على النجوم المتخفية، اركب ابن الزناة لحظتها على فرحهم ثم صعق على

الرعد فشق السماء ،ولكن لم تمطر شيئاً نزل ملك هو من عصاة الأوامر الالهية، فضرب على مؤخرات الخيول انشرحت خياشمها وقبل أن يجلس على العرش كانت قد أتت على تخريب الحي، لمدة قرن وقرن ونصف آخر..اعلنت سلطات العرش أن يهودا متطرفين يبثون الشوشرة ببعض الأقاليم العربية سرا و عمدوا على تمزيق الكتب المقدسة ورميها باصطبلات الخيول حتى تكس الروث فأضحت أغلفتها تشبه حوافر الفرس في صلابتها. ولما أنتصف الليل ازداد توافد العصاة على بقية الأقاليم ومع بداية النصف الآخر كان قد أمتطى بغلته وذيلها الطويل خلفها يتجرجر، انطلق في السير السامروشفته تلهو بترديد أشعار مجهولة المحتوى، تعرضوا للقصف و ولوا هارين لا أحد يدري من هم؟ هياكل جماجم المتمردة والعفاريت تهمل وتطوف حولها كمسرحية البعث، ربما هي شبه سمة لكن المشرفين على المجالس المحلية باتت الحيرة تسري في أوصالهم الرجفة، فأمروا بثقب شفة العبد بدل رؤيتها هي مكمة الشفاه توافق مع حكاية الخليفة فلما يفرغ من الدم يكتب بقيحه على أبواب الجنة و قد حف بالمكاه حتى ترمم الى عظام. سكت العبد اليهودي أرسمت خيوط الغموض والابهام حين فقد شوق العلاقات حنينه الأبدي بين البشر كانت جماعات جماعات تتحرك بشكل متلف للغاية وتصطدم في ما بينها غيرت احدى الجماعات وجهة أخرى، وأتخذت تسترشد طريقها بأثر حوافر الخيول والبغال التي كانت تنقل مقاتلين الحرس وقواد العرش، خصوصا لما تيقنوا بأن التوحيد بين مصر وسوريا مجرد عاطفة قرذية لأن مصر افريقية وسوريا أسيوية وبينهما فلسطين محتلة و الأردن عدائية بالكامل لهم ومع اسرائيل تاريخيا المعاكسين لقانون الجاذبية الانسانية،امسكوا الصمت حين ظهر الفجر وطيور الصيد فوق رؤوسهم و احيانا تطير، فتحط على على مؤخرات الدواب وحتى المناطق والمساحات البعيدة ظلت

خارج سيطرة كبير العفاريات وحراس العرش، بلغوا ما في وسعهم لتحرير شواطئ المياه من براتين البراغيث المتكاثرة به كالفطر، تلون الزجاج بها وسط خطوط الخشب رغم حذرهما وخوفهما، أتلفت كل الوثائق والمحركات الرسمية الدالة على هوية الدولة، دخلوا سجانين ثلاثة يبدون أنه من مبعوثي الحكم احدى رياض الجنة فطردوا على التوالي من فيها و على جناح الظلمة ، فوقع صبيانهم على دقونهم فغشت أنوارهم حتى سالت دماءهم لأن تهاطلت من العلو كالثلوج فلما أستفاقت مذعورة سكنت بداخل الجماجم بيد أن ناشطين وقانونيين أقروا بأن زوال النجوم على الأكتاف با ت ممكنا ، فعتق العبيد ليس هو الحل..صمت برهة ثم افرغ سطلا من المسامير في أماكن مختلفة و فوق لوحة خشبية، و استأنسه مجيبا دون عناية:

و حتى الأثواب ما تزال مصلوبة على أعمدة التعذيب بالحارات اليهودية وعصي الزبانية ماتزال رابضة بروؤسهم المدمية، ومصرة على قتل الدماء وشرب الجثث قبل الليلة المقبلة، وكانوا قد نصبوا الشباك لمدة خمسة عشر عاما فلم يظفروا الا بجلد ثعبان ضخمة وشائخ لماكان يغير ويفسخ غشاه الخارجي، مد الغلام لأحد المليشيات أوامر على قصاصات صغيرة نظر فيها ثم صاح رئيس السجن، حطوا على أبواب الزنزانة سلاسل ضخمة ايدانا على رحيل وتغيير مكان كل من ألقى عليه القبض متلبسا، حيث وضعوه داخل صندوق خشبي كبير وساروا به الى النجار ليثقب لهم فوه يتفقد منها انفاسه الأخيرة، صفق الملك لجلاديه..تعاقبوا على قواد الحرس علقوهم مقيدين بالحديد، و بقيت الأسواط ترقص فوق أجسادهم الى بداية العصور التي صعب ضبط ارقامها طأطؤوا بروؤسهم عليها وظل الواحد منهم يحتم عليها طواع موشومة على الكتف والظهر والناحية، وذلك طوال النهار، فلما بلغهم العطش مات بعضهم و بزق غلام على افواههم الا أن جلهم اطلعه

قائد العفريت على صغار الذئاب للضراية على لحمها وهي مبعثرة، حتى تركت بها في ما بينها التواءات كالأزقة وهم بين مؤيد ومعارض لحرق الحمل حتى الرماد. جاء العفريت واجتمع بحراسي السجن ومعهم القردة فوجد الجازية تبكي بكاء شديدا على غلافها وأخرج منديله وراح يمسح لها دموعها المدرافة، فلما بلغ فمها وضع بين شفثيها وردة سوداء فزادتها جمالا، فأظهرت بحتها مشنوقة على وجهها منذ مدة ليتحول إلى ما بعد الطبيعة ما بعد الموت أدركت، هي الأخرى سذاجتها أكثر في العد الذي لم تحسنها بعد و أن كل شيء حدث وكل صباح رأته بنفسها ولم يحدث الا الحيادي في حياتها عاد الطائر الى الديار فأنهز بما يقام من حفلات، بقي خائفا من فوق السور، فلما أراد أن يلاحق أرانبا باليهو مال الى الأرض فنش بجناحيه على طبق نحاسي معارضا التمرد، فقلب الكؤوس وغضب العفريت فتعوق جناحه بالهلاك فاستبطنت هي في علاجه ،حتى فاح ومات وحل في طائر آخر مجهولا الروح تشابكت العقول وإلا تتزاحم مختلف الآراء والتشبث بإحدى الأنفاق، فتحولت أصابع الخلق وأخمص القدم التي جاءت مع مجرى الماء اكتشفها الغراب وهي الآن عند لمن عاينها الطبيب بالقفزات وقد غسل يديه ألفا وعشرونا مرة، وشدد على أن ماء الغسل يرمى أو يعطى للكلاب والجراء حتى لا يقتل النباتات الخضراء.. يا رجل أنت وراء الدنيا وأنا فلم يبلغ صوتي البارد آدان صهر نائب العرش، فأضطرت الى أن أغير لكنة كلامي حتى لأصبح كأكلة ثمينة لطيور الأثرياء وكلاب العبد وإذ أرى غلاما أسودا مضطرب الحيرة وسط الأحياء ان لم يكشف على مصدر الصوت، اذ بعد مساء الليلة الأخيرة، من الحفل وعصبت ناصيته بقطعة قماش كان ينقح عليها الشعر وهي الآن عليها لا اله الا العرش، ثم سلمت احداقه وسخرله الغراب لتدليله على أماكن الجياف و هو بينهم كفيف ومريض جنسيا، كانت عيناه ماتزال كطائر يود

التحليق بعيدا واستكشاف كل تراهات الواقع الجديد حثوا السير حتى وقفوا على أبواب العرب باحضار دليلهم الذي مهد لهم الطرق حتى لا يتيهوا كالسكارى، أي شيء يقدموا عليه من مباحات العبيد سيكون وخيما على المحمول أستعصي، عليه فك ما يرى أه لكنه لم يتضحك على نفسه وهو في الهواء الطلق، بل ود تلمس كل شيء حتى المجرد من الأفكار ظهرت ردود أفعال متباينة من الحدث وظهر القرد كاشفا عن صدره وهو أيضا يحاول محاكاة الرجل في لمسه كالقملة الشبيهة مع مشاعر دونكيوشيت التي حاولت ملامسة حتى المعنوي، هو الآن يحبو، وتضحك على ذاته كذا من مرة، ثم استل بعض الخيوط الطيفية، لئن يكسرهما فلما سمع من فاه ابن الزانية وهو يزجرهم على تداخلهم في سفك وقتل المرتدين ثم لم يعرف من أين تكسر ضحك العبد الأسود لما داهمته موجة نوم فسقط من فوق خفارة الحراسة بخودته وسيفه الطويل بعث معه أطباء القصر الى بلاد فارس، ثم مروا على الروم وأخيرا أستطب بالهند تجرعا لأحد الأدوية المرة، يتوجع من فعل حز أقضاب الحديد على جسده وافق العفريت على مراسيم الدفن داخل حضرة العرش ولم يزيلوا الجثث مثل أفرشة قدرة بالية مرمية عبر الأزقة والطرقات، فأمر الجواري بتغطية عيونهن أثناء غسيل الأموات، وضعوا القيد على معصميه من جديد أبتلعه الزمن وربطوه دفيننا داخل الأحبال الغليظة رموه مقلوبا فوق حمل يحمله أربعة عبيد سود، خرج كبيرهم وكان مطاعا، فلم يجد الماء للوضوء فصعد نحو ثلة تتمم أتم الصلاة الخاصة به ثم أخذ طيبا من الأشجار ووضعها في صدره وأنكر يمينا أن راه يهذي بتلك الأشعار المحظورة لأحمد مطر ودرويش ونزار القباني والشيطان ذاته، وأراد أن يزيل قشرة مخاض من داخل أنفه كانت شديدة الالتحام بشعيرات منخره الأيسر، فأدركه النعاس وسبابة أصبعه معلقة، فبعد سبعة أشهر كاملة هوت أرواح كانت تستأنس ببعض

الأبيات هوت خلف مملكة الشعراء العصاة ضد الجازية كما تساقطت أوراق الأشجار اليابسة وهي تستغفر، ترسبت مغبرة بعدهم مباشرة، لم تكن تؤمن يوماً ما، بحلول ذات الرب داخل ماء أغصانها، أراد بعض من الشعراء أن يثوبوا ويتراجعوا عن ما بدر منهم من قصائد،، مزقوا بسرعة فائقة مطالع اشعارهم المكتوبة على رقي الغزال وأخفوها بكيس هام بنوح، لكن كان الأمر بتخريط سيئات آدم قد أنتهى، وأخبر بأن هناك تواطؤ بين الملائكة والشهداء حينها شرع أضعف ملاك في السماء السادسة بتدوين تلك السيئة الصوفية بقلم مداده الذي هو بريق من النجم الهادي المضيء على أولئك الغاضبون، طوله من باطن الأرض الى قاع السماء السابعة، و مغلاقه عبثاً مرمي بسماء الأموات، حيث يتربع الاله..ندم على غفوته كل هذه المدة فلما استفاقه سعال أحد العفاريته الغير العادي تصادف فجأة على شديدهم وهو يضرب حاجز من الأحبال الغليظة بالسيف فرماها على الأرض كالثعابين الساعية ،عطس العبد اليهودي وسخر من قائد النجاشي أرباط الذي قفز بجيشه لليمن، ثم زاد عطسه من شدة دخان الحطب المجلوب من أسواق اسبانيا الذي لم يستطيع تحديد لونه حتى علماء الطبيعة اكتشفوا أن المعبد يعود الى العصر الفليني والأجسام التي توارثت عليه بين النحافة والطويلة والضحمة ووجوهها، فرح العبد وابتهج به الفنانون والتشكيليون لتخليده، و أضاف، قيل أنه أحس بنشوة قبيلته ورح يمزق بعض الأوراق والمخطوطات، حتى لا يعثر العفريت ويمدها لعلماء اللون ويكتشف العالم وهو ما ترك قساوسة الأندلس يتحولون الى علماء بعدما عثروا على تراث هام وكبير، وهناك الخط الغامض وبه آراء مفتوحة للعالمين الا أن طائفة من الجان، كانوا يبدون يرتلون بعض الآيات الكونية في منتصف الليل، تابعوا شربهم ونومهم في المساء الثانية ولما ألقى عليهم ملك الشر المطر الوبيل نزلوا مع نيازك

وصخور وطائفة من القردة التي اختلف حالها لوجوب اعراسها المخالفة للذات الحيوانية، وكانت قد توضأة بالحليب، فراح يقرأ الكتب المحظورة و يهمس ويرتل بعض المقاطع من سورة البقرة مع أشعار أحمد مطر وهو يتذكر الزناة العشرة، الذين صلبوا وسط الساحة العمومية حتى ماتوا جميعا الواحد تلو الآخر، فحط على رؤوسهم النسر، فسلب قلوبهم ورمها داخل أفواه حيات نصف زاحفة وباقيها الآخر يحمل أجنحة توحى بمخلوقات الخوف، أو دمار كان قد حل بها فغير شكلها بكلام بنديء في شوارع اليأس، و ضد الملك و كبير الكهنة و وجهاء أرض السود فلم يعرف كبير الغربان أين يحط والى أية جهة ينحاز، فلما سمع الحراس حيرته قتل نفسه شر قتلة ، بقي يضرب بأجنحته في الهواء كأنما أول وهلة يتمرن على الطيران وهو يرواح مكانه خرج من دائرة العرب ودخل دائرة الفرس، صوب عليه قناص بندقيته فلم يظفر الا بريش ذيله بعد أن نجا من السقوط الحر، فطلبه ملك الروم لكنه تموه متحولا في جثة قرد بيزنطي، نصف الرعية معه سدت المداخل بصرخاتها العالية ولا حتى ابنة الملك الزانية الشرهة كثيرا للذكور المجانين وال دراويش الفاقدي العقل والذاكرة، إن أرغمتهم على مسها بالقوة فلن يصدقهم أحد ولا رواية واحدة ولا حتى مستمعيه ومريدوه ان فقد عقله وخرج عن سيرة الحكي، فهي تمرح بين أفخر الأثاث والخزانات الفخرة العديمة الرائحة، فلما أمسكوها ببعض أوراق الدفاتر الحاوية على بعض المخطوطات الخطيرة عليهم، جاء صهر العفريت وأمر بشراءه بأغلى شر تريدوه على مرأ منها، وتود رقص رقصة الديك المذبوح الذي يصارع الموت بمحاولة الانتصاب على أقدامه، وبعث الروح من جديد صدمات عنيفة حدثت معهم في ميدان المعركة حتى لا تقدم للملك فوق مئات المعارضين للزمن الآخر، مسيرات طويلة ملأت جل شوارع العرب ومطاليم على أيديهم وقوادهم على أرائك خشبية

ونياشين تمسح ملابسهم الفاتنة. أمر حراس العرش تعزيزات أمنية كبرى وقطعت الاتصال مع بقية القرى، فلما اعتصموا ليال كاملة حتى بلوغ الأربع سنوات فتحوا الصفحات الأولى، فأمروا بتلاوات محتواها اطلع الحكيم على أهمها، لئن بعد هنيهة وهو يفاد لهم لجنة خاصة لعرفة المغزى من برودة نساءهم دون الاشتباك مع قوات الحرس الملكي، قال حاجب العرش ما فيه إضافة، اشأبت عنق من وسط الحضور قائلاً يا حاميلى رسائل المطالب اقلبوا الأوراقا . فكان الرجل يصاعد من الأحداث ويسرد ما يسرد من الشواهد متخلية عن بقية الأدلة المقتفية لأثر الدابة الذي بدأت تتفحص صاحبها الاعتراضات، اللحظة بعد الأخرى، باتجاه برودة الأخبار القديمة..قدم العفريت ونزل على أكتافي بغال كانت تجر عربات هرمة، وقد بدأت البغال نحيفة وعظامها مصلوبة على جلودها كمادة البلاستيك، ثم نادى على جار من عوالي المدينة وأمده بسر وأخبره بما يوحى للذي مغطى فوق هذه العربة، و الربيع منهم ضده ويزعموا على تقديم أنفسهم فدية وقربانا للملك والآخرين هم بين أمرين أحلاهما مر..نقلوا عبر التقرير المزور الى بقية القرى كل تفاصيل هذا المحمول حول كيفية نومه وأكله وشربه وتغوطه وقيامه وقعوده حتى طريقة تصنعه في أتفه الأشياء لما يعطس ويتظاهر بغلق حزام حذاءه، وقد شمل ذلك كل اتساع المعمورة الى أبواب وأدغال افريقيا التي بدأت فيها الحروب منذ بداية الخلق الى يومنا هذا، ولم تشملها الفتوحات لسوادهم انعدام لديهم أفخر الفنادق، انطفأت النار جثا على ركبتيه، أغمض عينيه، سكت الكل عن أي لغو أو كلام خارج الأعراف، نزل ملاك فأفتزع روحه وصعد بها نحو السماء الأولى اختلطت عليه الرؤى، ثم رأى ظل الرب وهو يخرج جل المؤمنين وهي ملتصقة بأكفانها الجميلة من الجنة ويدخل فاتحة العصاة والملحدين اليها للنقاهاة، رأى ذاكرته تدور حول وتد لزج بالقيح مشدود على محوره عفريت

الجان، كانت الجان تروي ما سمعوه عن كيد الهدية ولو كانت دابة ويتناظرون في ما بعضهم من ساعي الطرق ونشر بينهم الفتن، ثم سمعوا لمقتل الصحابي عثمان بن عفان وتنحج شيخوخته، وهم يتحرون من أطياف السموات الأولى، وردها العميقة الى أرض الدنيا حول حقيقة ما جرى، من سفك للدماء جراء عرش السلطنة، وكل ما عدل إلا باب الانتقاء لفائدة كل نفر، فأستنبطوا الرواة ما سمعوا، وقرؤا من أمهات الكتب وأطمأنوا لما جاوبه عن عجل العفريت، وهم يتحرون في أداء التفاصيل التافهة أما بقية الحيات الغريبة فقد أمتطت سفن النجاة وتخلت عن البر نهائيا داخل تلاطم الأمواج الجنونية أنفتحت عيوننا على بياض فسح. نفخ العفريت في النيران فذرت في وجوه السياح والطيور المهاجرة حتى اذا ما فتحوا أحداقهم من جديد تدمر كل شيء أمامهم كالسراب، ثم انحنى برأسه ينسف عليها ليوقد اشتعالها من جديد لم يرو له أن العديد من الذين شاركوا في الاشتباكات، قد أصيبوا بجروح خطيرة وهم المساكين على مقربة من ناصية الحدث، أزاح الصخور المحيطة بها وأذكاها بالمزيد من الحطب، ثم وضع بجانبها ابريق الشاي الفاريسي المفحم لونه من شدة نار حطب الرمت، فاخرج المشكلة من جوهرها العائلي الى مبتغاها العشائري وكل واحد بقي يتحفظ في نفسه بما سيتطلع به العفريت واليوم المئة والخمسون قضية منذ أن ابتداء ذلك الغلام في قتل ما يقدر عليه تمثلا بحلم الرؤيا، مارس جميع الأدوار وقبض العديد من الدنانير عبر لقات العصر الى أن أخذته لوحدها وضربته على فراشها وظلت في انتظار باقي ما غاب عنها، لقد أستطالت معه الأيام و شهور أخرى لا يعرف أهو موالي لها أم مناوي لها قبل أن يصل الى بداية الليلة الباردة المرصعة بالأنواء والخوف، من الذين اندلمت أياديهم قيحا أسود من شدة حبال شباك الصيد التي عادة ماسئموا ومن أبسط الأشياء، فقصدوا البحر فوجدوا العفريت يتألم من عضه

القرد وعينه نصف مفتوحة وأدرك أن نفر الجن لم يتوان أن تواطأ مع أي خصم ضده لقتل بغلته، فلم يكونوا لحظتها يعرفون سوى الموت و الحوت و الأقدار الغامضة غموض البحر وأعماقه، حدود الهيجان ثم حملوا المجاديف وتوجهوا نحو الحمل والتلف في السير يلف غبارهم، نصبوا الصخور والعيدان حتى لا يضيع مرجعهم ويتمهؤا في البراري التي لم يصدقها الأنبياء، الذين أستيقظوا لتو بعد سباتهم الطويل بأمر من الوحي. رأى قائد الغرفة الموسيقية وعلم بكل يقين أن عرب الأندلس تخلوا عن عقلم، لما أفتضض يهود بيض بكرة أحسن عذراء لديهم ، فلما استفاقت وجدت نفسها تسبح في برك من الدماء وصف من القطط تلحق منها هتفت بالأجداد وأغمي عليها من جديد غضب قائد الجوق غضبا شديدا، وأمر بكسر الكمنجات الحنينة مساندة، للثورة ولم يترك سوى الغليظة النغمات، فدفن في قلبه أحقاد بشرية فضحكت عليه سود القردة، فلما أبلغوه أنه نجا من محرقة مؤكدة قبل الأرض تسليما ولحس التراب حتى وخزه ركامها السحق خصوصا لما أختلف علماء الملاحه حول اختلاط وانحلال ماءه ومواده مع معادن وأملاح الجثث، أخذ الكيس العفريت وكان به بعض الأملاح فأشترى بها ثمن غذاءه وأدرك أن هذه المادة هي خاصة يتحنط بها الأموات الطاهرين وصولا الى رميم العظام و حتى لاتطفح جلودها كذلك وتخرج عن مسماها لتعقب المدن والأسواق، فلما أبتعد عن المكان ظهر له الدخان يتخلف الأسطح، والجازية تشرئب برأسها من نافذة العرش فجعلها العفريت من ذوي أهل العرش، فلما صدقت نبوءة القردة وكسرنا الصندوق الخشي وأنصرف الجان وطار الغراب الى حيث...وهناك أطرافا كثيرة من الأشجار التي عادة ما يرمي عليها البحر هيجانه لتتغدى منه، ثم ساقوا أقدامه نحو الأمام وأسلحتهم على أكتافهم تتلاعب، كالأخشاب الضارية في عرض البحار وعلى أعناقهم بطاقات صغيرة

تحمل هوية كل واحد منهم وفصيلة دمه وعشيرته فضلا على لونه، فلما دخلوا على حاجب العرش كان قد وشى له الغراب الثورة عليه وحول اعتقاد الرعية بأنه جارية، اندهش من ذلك وأمر بتجنيد ثلاثة مائة فارس معهم، فنزلوا على القرى لأكثر من عشرين عام ينمو بكثافة خضراء بعضهم ألقى بهم في البحر عقابا لهم و لسخرتهم من زوجة الملك، الشاذة جنسيا، التي تود أن تتحول الى ذكر، قالت العنكبوت المأجورة على ربط وغلق المنافذ الصغيرة المتواجدة بالجدران المطلة على بهو العرش من اطلعك سيدتي على تقارير المجازر، طرحت حبالها الرقيقة السمك، فلما لم يتحر لها أي جواب اندفعت راحلة في سفر وكأن الرياح تدفعها نحو الهرب وعاهدت نفسها أن لاتعود الى ذلك البهو وجدرانها حتى وتشعر بوفاة واغتيال ابنة الزانية، رغم شذوذ زوجة الملك كذلك..تزعج لأتفه الأشياء، فأندهش الجند الخصوم لما سمعوا بتجهيزات القلاع التي تفوق مليارات الدولارات فقالوا أن نركب البر، ونعود فرا نحو البحر ونلقي بسيوفنا على عيوننا، فساروا حتى عبروا الحدود ودخلوا المناطق الصعبة فوجدوا الأضواء والكل سري في شردمة منامه، فأخذوا قندوراتهم ولبسوا بعضها وصرخ العفريت وراحوا كبارائهم يتلون آيات من الذكر الحكيم فتلقي بالتماثيل والصور الحائطية مشوهة الشكل كالأدمي أصرت العنكبوت أن تفك سدها وخيوطها على نفسها تضامنا حتى يفك أسر الخادمة التي أفضضت بكرتها ليلا، حيث لا أكل ولاشرب والا رمت خيوطها على عتبات منازل الروم نزولا الى آوانهم وأثاتهم وهي أسوأ حالة، يصل اليها جاريات الروم وطباخات الملوك هناك، مشى المشعوذ خلف الطباخات وأمرهن بوضع فوق رؤوسهم اناءات مملووة بالماء ،لكي لا تتعرض لسُموم العنكبوت ،إن هي حاولت رمي خيوطها عليهن فالجازية تعرف ما يدور بنفوس الرعية الزناة، وسقوط العديد من القتلى من القردة، وماتزال الاشتباكات مستمرة الى حد الآن ومع

ذلك فلم يستنجدوا بأحد كما فعل يوستين لألتماس العون من النجاشي لغزو اليمن والثأر لقتلى نجران، مع وجود ضجة كبيرة حول فقدان حاجب العرش لمفتاح المقابر الداخلية للمدينة أما صفارالعفاريت فقد أشعلت الشموع تضامنا مع كبير العفاريتة الذي لم يذق طعم الراحة منذ القرون الأولى للطوفان، أين بدأت الأزمات تتجدد وأن أزف له عروسته فوجدها غير عذراء، فتارت ثأرتة، وقلب صحن الحفل بجناحيه وطار في الجاريات البكر، وقصد دهاليز البحر فأمر صاحب العرش بالتدخل العاجل من قبل الحراس، واعلن التيار المتخالف للحفل فأكل معهم مأدبة عشاء مندوب العرش فوجدهم كلهم خرس، كلامه مجرد علامات من الاشارة ومشاورتهم لاتتعدى حركات الابهام والاستفهام والنفي دوران الرأس على اليمين أو اليسار، وحول نية الجور أكثر من أنفسهم المتهالكة هرما تحت أوامرها، لئن تعتذر لهم على كل ماجرى بشكل ينز حول ما حدث ومن أختبأ. عزم القرد على ضربها على فخذها البض وركبتها الممتلئتان لكنه غضب غضبا شديدا لما سحبت نفسها منزاحة عنه نحو الخلف وظل هو متحسرا يعرض ويتقلم أظافره، ثم أمرها بالأعفاء عنه للأنصراف نحو صندوقه المتبث داخل الجدار الأمامي للحديقة، بعض الضحك الهستيري الذي لم يجاوز حناجر البشر، تلتفت تشير إلى جرو مبتور الأذنين لم يولد على فطرته الغريزية، ولد خارجا من قدميه بدل رأسه، ثم انغرزت أظافره داخل التراب وهي طرية فأتوا بمنشفات رقيقة لتضميد قدميه من الوجع فما كان من أمر الرعية الا أن تتضامن مع المحمول ان بدت هكذا مع الأشياء الغاضبة والغامضة عن آخرها وعن الكل، أو سوف يتحول العالم كله الى جينات أخرى، تأخرت نظافة الفناء ثم دخلت و على كتفها ابن زنا فأخذت الجازية المفتاح، وأتت بخرق ألبسته إياه وتركته في الساقية مع السلحفاة حتى استقر حاله وأشدت عوده بعد أن كان العبيد السود يمدوه

بأنابيب مملووة بالدماء مثل أوعية يمتصها ليلا نهارا، فيفرغها في أحشائه ثم يزحف نحو الآخر ذلك الشتاء الاستثنائي، الذي جاءهم ولامثيل له، معطوب الحالة لا تستنهض رغبته الا معها كما علمت أن العبيد السود لم يشاؤا الثورة عنه كذلك، وهم الذين ابتكروا لها الفكرة لضرايتهم بعالم الجنس ولسخونتهم طوال السنة يلتحم معها ويجتذنها بقوة خارقة حتى يعصر منها ماء العرق وتقف على أصابعها من شدة اللذة المضادة بمهبلها قيل أن له الشأن الكبير وهي في كل لحظة تجرب ما هو مدفون في رغبته بغرائزها في كل نهاية أسبوع. نزل العفريت يرقص ترك جواربه بالماء ولبس ملابس الغلام وأخذ المزمرونزل بالوادي حافيا فأرقصته شوكة غرزت بقدمه حتى سال دمه، فسمعتة شياطين جهنم فتسارعت نحو السماء الأخيرة، والقريبة من كوكب الأرض، فأخرج الراعي سيفه ومسح شقه وهو يتحسس أي مكروه، فجاءت الثعابين ترقص على وقع موسيقى هادئة خلال ليالي القدر، فمد يده نحو الهواء فقبض على أذيال حيات ألتفت حول ذراعه فظل يبيع ويسرط الواحدة بعد الأخرى، فأكل كلها وزاد معها قيراط من ذهب متأخر منذ قرون يوسف الصديق عليه السلام لم تسمع به قط ، ففتن بشكله الانسي والجني فكانت كلما سخنت تسقط على الأرض و أخذ العفريت اسلاكا وحبالا غليظة وربط أحد شياطين حراس جهنم الذي كان يسخر منها، وأمر برجمه من قبل صبية العفريت، حتى تعفن ويبس ورحلت جيوش النمل الخارجة عن طاعة سليمان، فعزلت ثيابه عن جثته وعزم العبد اليهودي على ردم بيوت مستشاري النمل الأصفر، حتى المحو في طست من تراب وتركه يتذرر على الجحور، حتى طمست أثاره، عندما تنهض تجدها وراءها تتشمم مؤخرتها أعلن حاجب العرش عند بداية المهرجان ونحو مائة عبد يهودي ومعهم العفريت المقصوص الجناح لما علموا بهرجان الضحك الذي كان دخوله دون استئذان

ودون إشعار بتذكرتهم في ذلك وهي مغالطة كبرى ولأبي تائر في العالم أن يحس بذلك، ولو كان بحجم شغيفارة اختفوا ثم عادوا منتزعي الأسنان وأشرطة تحمل علامات وهمية تخط رقابهم تصدورا الأماكن الأمامية فأخذوا أوراقا بيضاء وتهيؤا لتقييم الحفلة دون ابتسام أو ضحك رافعا رأسه نحو... وإذ بقية الجواري ينتحبون ويبكون مشقيين خدودهن وهن يترقبن المشهد من خلف شبابيك الحيطان الموالية لغرفتها المطلة على رواق رئيسي، لمدخل بهو العرش العالي، وبأنفه سمات مرض الكلب، تضرب على ظهره بسلسلته الحديدية التي هي في الواقع لصغار القردة أنكمشت المسافة الأرضية، فدخل من فوهة سفلى تشبه الجحر على جانبها نفق كبير كانت تعيشه به الثعالب منذ أقدم السنين لما هربت من اعصار ناري، فلم يقدر العرش على ردمها فأمر باحضار العبد الأسود وعلى ظهره أكياس نخالة مغبرة وملاً بألفي قنقد ميت، وهو يتفصد عرقا، فأمره بالبصق في يده ومسحها على على نفق الجحر واذ بي حيات كالطامة تخرج منه وحواشيها أثر ابتلاع تلك الثعالب التي قيل إنها في الحقيقة أرواحا ماتت منذ حروب خلت، والأشواك القنفذية برأسها، ثم طويت على ربعها في المواجهة الجيولوجية بين البناءات الملاً، وهذا ما لم استطاعة تكريره حتى خبراء الكرة الأرضية، والجازبية والكتل النسبية، ترددت الأحزان على العرش فسقطت دون قانون جاذبية، وجد القرد ركام من الدموع يابساً كالزجاج، قرب ردهات الأبواب وخرج الحاجب مع المستشار، فسمع بما حدث فأخبر النواب، تمدد على الأرض، ربما القانون في حد ذاته سيقف في صف الثورة ثم أنقلب على ظهره و رافعا أخماصه نحو الأعلى، أستوى لحظتها أحسسنا بالحياء و كرامة ذواتنا هم لم يسألوا عن ذلك كله، مسخت الكثير من الوجوه وحولت الى قردة خاسئين، فولدت معه ملامحا جديدة قبل أن تنزل عليهم ضربة شمس قوية، تصيهم لحظة جنون

عارمة، فأمتد بهم الزمن الى القرون الأخرى، بين مدينة طليطلة التي تعتبر أول عاصمة اسلامية بالاسبان، فألت هي الأخرى، الى الجذب ثم السقوط ثم أنتقل الإرث الى غرناطة وهم يقولون أن أختلطت علينا الصور الغربية خصوصا مع تزايد الأحاديث القاسية التي جرت بين الغربيان والقردة، فبدأت نار الحياء تهشم أعماقنا وأمرتنا بفتح عيوننا رغما عنا، نفتحها بهدوء، فعند ذلك الحين ارتدى بعضهم قباعات وعصابات عينية عن تسرب الرماد اليها زادت الأوساخ في ردم ذلك التابوت عن كامله، قبلوا أيدي العفاريت وطأطؤا برؤوسهم داخلين تحت أسقف اسمنتية، فخرج الجند وخرج العبيد اليهود السود وبراعم الملائكة الرافضة للتمرد الانسي، ومعهم تتقدمهم الكلاب المدربة على الحراسة، ادركت في منتصف الليل أن جلهم تصنم في مكانه لما سمع كلام نائب صهر الجلالة عنهم، وهي كانت تظن أن ملامحهم هكذا متخشبة أو كمن خائفين من مواجهة زوابع رملية، تتمخض عنها دموع حارة يغير مجراها خدوشات الوجه نحو وجهة أخرى من الخد اليابس خجلا، أدركنا الضوء الذي ثقب السماء فنلت منه مساعدي جبرائيل أدارت ظهرها، صعد فوقها و يده في! ولم نستطيع التوقف عن بنىء الكلام الخارج عن أعراف المدينة والعقل من شدة رجفة لذية، حتى اقشعرتها، ظل يتحرك ملتصقا خلفها حتى وصل بها الى باب العرش، فأقبلت على فراشها الذي كان شبه خاليا الى أن ظل عليه ذلك الغراب يتمشى برجليه العرجتين، حنقها الغضب وزمجرت في وجهه، اخرج والا رميت مسلوقا بداخل قدر الفرن الناري لفترة من الوقت، بعد ساعتين أمرنا بالانصراف، و تضع الجرو بعدما تدس في فمه قطعة لحم حمراء طرية يغزوها الملح والنمل الأسود الشبيه بالثقب الأسود فلم يتوان أن يلقيها على رخام مدخل القصر... واذ سمعوا دق الأبواب اسرعت الجواري للعلق تلك اللحمة وتنظيف ما يمكن تنظيفه، بأكامي ملابسه وبقايا حزنا

أسودا مايزال منحوتا على وجوه براءة الملائكة، عدنا من المغارة السحيقة نتدافع و نتساقط بمرارة الواحد تلوى الأخرى، ونحن نزداد أكثر هشاشة من ذي قبل كما ثم التشديد على المعابر الحدودية وبين المناطق حتى تموت الرعية جوعا وعطشا عقابا على تمردهم، واقتحموا حجرهم واحضروا بزاتهم العسكرية تهيأ لأي طارئ قد يأتي من خلفهم ولا أحد استطاع أن يبوح بما يشعر به من هلع وابعاد للهزيمة النفسية النكراء، لأن الأيام لم تكن متشابهة و حسب شاهد عيان، قد غادروا المغارة سوى اللحظة من شدة الخوف من الأشياء التافهة ومن الثقوب السوداء المنكسرة مع النجوم، شعرنا بالرغبة الساذجة في التبول الفجائي، فلما قضى صاحب السمو حاجته واهلها قاعدون ينتظرونه بفارغ الصبر ضرب الحجاب الدف الكبير المعلق على المخرج رأؤوه، اقبل عليهم، قبلوا الأرض المأ برميم العظام فلما أمسى جلس على عرشه وعلى يمينه ويساره الأمراء والأعيان، نادهم وأمرهم بالانصراف فلم يتمكن من ذلك و بدأنا في الضحك الهستيري حتى فوجدنا أسناننا، قد هرمت سويا، كعظام الثوار الموتى في حرب القرن. كان الضباب يغزو العيون الثقيلة، كعادته و الغبش على محيط الأهداب يغشى كل الرؤى، الذي لاختلف فيه البشرية، قام الحاجب باخفاء أوراق تحمل شكاو عدة من سجل الديوان اليومي حتى صار نقيا لايحمل أية ورقة أو مخطوطة فما أن هم أن يدس احدي أخطر الشكاوي بجاربه حتى قفز عليه العفريت من الخلف وضربه ضربا ادخل كفه بجسده، وركب بغلته العجوز، وسلك روقات الجنة المحاطة، بأرواح الثوار كأرواح القطط الصغيرة و معه بقية العفاريت الجلادين له منذ خمسة عشر قرنا، اننا لم نتمكن من التغوط والتبول طيلة السبعة قرون الأولى، بما فيها الشفوي والمخطوط ورغم ذلك فقد أشتاق صاحب الجلالة الى رؤية دالكم العفاريت العور العيون اليسارية لئن احضروا اليه امام

قضاة العصر، اقنعوه بما فعلوا، قبل الأرض رغم فخامته وأصر أن يسامرهم طوال العصر، حتى تصب الأمطار وتدفن خطايا عصره، افرغوا الأطباق المقدمة اليهم من بعض الجواري فوجدوا تحتها افاعي طازجة ماتزال تتحرك وتحقق فيهم ان عبر جدران الطرقات وان عبر أوراق المجلدات التي أنمح جزءا كبيرا منها ورحيل الكثير من الجدات والرجال كبيرى السن، وقد اصابوا في شفاهم بالبرص والجذام، فسئلوها عن حال سؤهم هذا وشاع خبرهم عن كل داخل للمدينة، استحيوا من انفسهم وسيتحضرروا لأول مطر على أرض الانس، انتحروا ذات ليلة شتوية باردة جدا وجثهم معلقة داخل كهوف الشط الكبير هلعا، والجازية مغشيا عليها وأثر الصخور الصلبة يتقب ناصيتها النقية اللون والقردة العجوز تحاول تسلمها لاستيقاظها من غفوتها، الذين كانوا يحفظون بالتتابع ذاكرة الأمة متجاوزة بذلك كل الاحتجاجات والعيون المغشية الرؤى.. أفق ضبابي لاختلف فيه نبوؤة الأنبياء الغالية بأنيها الغليظ خلف جدران الأندلس، وادركت كل خفقات القلوب المرمية على شوارع غرناطة إن مرضها عصي الشفاء والا استفحل بها الأمر، ما عليها الا القفز من اقفاصها كالطيور المتحدية لطمي النيران من فوق الصحون الفرنية فالتفتت اليهم، فوجدت الجند يصبون نحوهم مصورات مجوفة في الليلة المقبلة شخرت الأرض وشدت على أحزمتها لمدة ثلاثة أيام، ضربت الصنوج وأندرت الملائكة العامة بأن سكان هذه الأرض ستتكوم الى هياكل عظمية، ستستثمر الى طباشير أطفال عبر آخر موسم دنيوي ادركت العرافات أن جلهم اصيب بمرض السكري وضغط الدم، وظلوا لايفارقون الأعشاب والأدوية النبوية، وهي نفس الأمراض التي مزقت قماش التاريخ وغادرها آخر أندلسي منك الجسد من تلك القلاع الغرناطية الحصينة، لما زحفت الاحتجاجات العربية قبل التمرد، فجأة يسقط على جهة أسفل الجدران ملأ فمه

بالتراب، بدأ يصرخ حتى خطفه الجان.. ومدّه بسرعة جنونية وعجيبة في رمشة عين الى ملك العفاريت الذي بقي طوال نهارات القرن يحبسه داخل زهاليز سقفاها هياكل من عظام تشدها أحبال غليظة وعليها أثر الانتحارات الجماعية، وهي أنفاق لاتكاد تميزمخرجها من مدخلها وفي ذلك الليل بوجهه نحو الدواب الرابضة أسفل غرف العرش النائي عن عيون العامة.

جاءنا صوت يتناقل مبحوحا من عوالم القبلة المواجهة للباب المحاذي للسوق، فلما ذر أنوفهم رمادا البارود، وقد خشي على أكبادهم من أن تصيبها أمراض نقص مادة الضبط السكري في كل صباح يتناولون على الريق ذلك العشب وقبل الفطور يمدغون حشائش خضراء كثر الزيف في بلاد العرب فحتى الزهور والورود هي بلاسيكية الصنع كل شيء مزور، فمنذ ذلك القرن أصبح الافرنج والاسبان الميغورشين المعمرين عندنا منذ بداية الزمن على الأرض لايؤمنون مكر المسلمين، ولقد هزم خير الدين الجيش الإسباني و غنم و أسر النساء و الأطفال و ألقى القبض عليهم كذلك على للمرة الثانية، قائد معقل الصخرة، ماريثودي فاركاس الذي، حاول التستر على الأموال جرب كل الحيل والتحايل على ذاكرة الانسانية، تحركت مفاصله واصيبوا بالتخشب كل القضاة الذين كانوا يودون محاكمته، وحتى دفاعه بتر لسانه وسقط عقله بين رجليه،، و لكن تحت التعذيب أعلن عنها مخفية..أردف كذلك بعض الرعايا، اركبوا سفن فن النجاة اغتصبوا المجاديف وأرموهم بقاع البحر العميق، وألواح القرآن على أعناقهم اشتهم، اطفالهم أن يدونوا ذلك على اقمشتهم وتحت ارضفة شوارع و على بنايات جديدة العصيان، بواسطة قطع من الفحم والطباشير وعظام الموتى الرمادية لادخالها ضمن حكايا الجدات الخصيصة للروي، طار العفريت وأركب على ظهره صغار القردة ورحل بهم نحو جزر بها قصور عظيمة، ويسكن أدغالها وحوش نذرة، جاءت مع الانفجار

العظیم، وقف عنده البوابة فجاءته بعض الطيور الغريبة فخطفت ثلاثة قردة، وراحت تنسرح بهم
بداخل الغيوم حتى أدركها التعب وارتطمت مع رؤوس جبال الهند والصين، فسقطت على بوابة
العرش، و لما وصلوا إلى ضفاف الشاطئ، احرقوا كل المجاديف وأوراق التبغ اليابسة جذوع النخيل
التي صلب فيها احد دعاة القدرية الذي قتل أشر قتلة حتى توقف اتباعه ومريدوه عن الكلام
البديء الذي اوصله ذلك الغلام ابن اللقيطة الزانية بنت الزاني الى سادة الفقهاء ايام المأمون، فما
أحد منهم سمع بخبر العفريت الذي قص جناحيه ملك الرعد بصعقة رعديّة، اطاحت بكل الجدران
وقلاع الأرض احتجاجا عن مجرد التفكير في التغيير والخروج عن أعراف الأمة والحكام وطار ريشه
حتى ملأ البحار وغطى المحيطات، فسد قنوات صرف المياه العملاقة في ما بين الدول، فلما توقف
العبد عن الحكي وجد نفسه يهذي وهو فوق حمل يحمله أربع رجال، فتعجبت من أمره الجازية
، فضربت عبيدها ثم أجلستهم على أعناق زجاج توغلت في أحشاءهم حتى بلغت أفواههم و ألقوا
بالحبال على جذور النخيل المائلة ، فلما اغلقوا الأبواب الضخمة ذات المسامير الضخمة والصلبة
على كامل القلاع انهالوا على بنات الجوارىء الزناة بالضرب والركل حتى أغمي عليهن وحضر
العفاريت وصغار المجانين، فأرسلوا بداخل بطونهم أشعة خافته أنذرت بحمل انسي جني، كدنا أن
نكر و نفر لكن لحظة غريبة تكسر كدر نجمها الأرض الصلبة، فحجم جميع الكواكب
والنجوم، ومدت أيادي العفريت الى الأرض وكوكبها خلافا لحركة الشمس، حيث ما تزال بقايا أظافر
الليل باقية لما سلخ النهار بياضا كجلد ماعز غشته البرودة الميتة، فصعب فصله عن جسده هاهي
العفاريت الصغيرة ترقص وتنذر برحيل الحمل خارج دائرة تحديقها، وكل زاوية ترحب بالحملة
وتضع على كفن الحمل بعض الدنانير كالضريح المتبرك به أبديا، أي الذين يودون تهريبه خارج المكان

و الاستبقاء عليه بداخل زمنهم، ولو عبر قنوات صرف المياه الثقيلة الحركة جراء الوسخ رفقة الجرذان الكثيفة الشعر والرطوبة، أي تهريبه خارج الوطن باتجاه ما وراء البحار الهادئة للأحتفاظ عليه أكثر حتى من المزهريه أو الفخار الثمين خشية السقوط أو اغتياله أو حتفه بريشه، كالتائر الوديع على التمام.. فكان يمد لهم مقدم الزاوية رايات خضراء، كي يؤمنوا بغيب الرحيل شيئاً فشيئاً، التي لا يحدد زمنها سوى قوى الملائكة وبعضها من العفاريت التي عرفت زحف الساحات العمومية الغاصة بالرعية، فكانت ماتزال بقايا الحشرات مترامية متلفة فوق، الثقوب السوداء للكون، والجرذان تصفعها تموجات الأمواج من اليمين الى اليسار، وهي فوقها في جيئة وذهابة ، كأحصنة البحر.. قالوا من تقدموا و بأيديهم مشاعل المئة سنة وعلى رؤوسهم قران أبقار وحشية مكسرة، تقدم العراف من سفر رحلته العفريتية الليلية وقبل أن يرفع الحجاب غادر المدينة، لمدة سنة، ثم عادت ورفع الستار على دنيا المدينة فوجد عجوز مسنة متضرعة من شدة مكاره الحرب الضارية، ادهشت صغار المجانين، فظل فاه مغلوفا حتى اصطك اسنانه مدمية واذ هم في القافلة سقط من الرتل، فدكه العفاريت بالأرض المحمومة حتى لا يبيح بما رأى، فأدخلوه مزجين به في واذ لا هو من الجنة ولا هو من النار تسقيه نار حميم ارتجف دمه، وسالت مشاعره لكنه لم يعرف أين هو منذ الآن ، أين كنتم بعد كل هذا الزمن، لقد تقدم حوالي اثنتي وعشرون ألفا من المشاة و ألفين من الفرسان المختلطي النسل مع العرب، أحبطوا الأسباب فلم يبق منهم سوى القلة القليلة أغرسوهم الرمال والحرب ضارية بالتراب وجاء اخصائيو الأثار والتنقيب فبدأوا عماله ينقبون عن حوائجهم المردومة تحت الوحل اليابس والأوساخ العتيقة تصل الأجساد الى حد الرقبة والأعناق المشحونة، بعضها بالحبال التي كانت ما تزال عالقة بها وأخرى يسكن جسدها مظروف الرصاص

الأصفر، و لقد كان في قلوبنا عرش الرحمن و بألسنتنا كلام الصبيان، وكأن اقدمنا تطأ وسع خواء أرض لاقرار لها فنحن نحاول التمكن من عبور حدودات لمشاعر محرمة في الذات العربية كل شيء سيتحول الى خراب حتى أحالت الجثث الى عظام وما تزال الجازية لم تع فلم تستطيع عد أصابعها وعد المدن الساذجة التي دخلتها القردة وأقسمت أمامها زوجة الملك إن ازدادت ثورات الغضب تسفك كل شيء أو أنثى أو ذكر أمتلأت عيونهم خوفا لحظة رؤيتها وهن نساؤهم يحاولن قدر المستطاع اخفاء احزانهن الموجعة تجاه ما يحدث لهن مع أزواجهن من ضربهن بسياط مصنوعة من اذيالي البقر والثيران حتى الصراخ والعيول،ربما انقضء النحب وتلونت الآن تلون الوجوه الزاحفة الخافية لأسرارها أكثر،والتي تغير في كل مرة رؤوس الحكاية مع كل حركة لملامحها البدوية ولما توقفت عن الحكي أمرت وأشارت لهن بأن يلتحمن عليه من كل ناحية حتى تزهق روحه بريئة سليمة الى خالقه، قام هو ورمى ملابسه في الماء، ظلت تسبح بين الأمواج كالغريق،ضربوه بأعوادي اللوز القاسية على مؤخرته كالحمار الحرون،فأدخلوه غرفهن ولأحد علم بذلك سوى العفريت الذي كان يتجسس عليهن من حين لآخر، حتى وجد ذات صباح محتضن أحد أعمدة الكهرباء للمدينة السابعة،حيث أستباحت كل النهايات وهي تحاول كذلك في استزادة من الشد على ملامحها نحو الابتهاج بعرشها والخجل من اكتشاف تفاهة جهلها للأرقام المثقلة بشكلها الزوجي مستمرة في العد العشري،بدأ الاضطراب، يحثها على الوقوف والجلوس وكأن الكراسي تعيها جيدا تمت أن يلفظ البحر كل العالم ككومة دخان بخاري والغصنة تخيف صدرها من خراب تلك الأزمنة المقيحة التي غيبت مسمات جروحها الطرية والجميلة والارهاق بدأ يتعب عظمها حتى النخاع لتو،حتى أنتفخ رأسها أرقا من بين فجوات الجماجم أو أن تهاوى بسكته قلبية على سريرها الفخم،فما زاده

غباوة تلك الكتب الصفراء المحشوة بأغريب الكلام التافه مثل كتب الموشح للمرزباني الأكاذيب والخرفات والشعر المنحول، وكذا كتاب الاصفهاني الأغاني كله طز في طز فساروا جميعا يهتمون من يعارض كذبهم أو الخروج عن سكتة الفقهاء العشاق خفية مبتدع في الدين وخروج عن العقل قبل أن ينكشف أمرها وتفر الى نزل أوربي متسترة بهوية مستعارة والى الأبد، أو تتنفس تحت الأقراص الهلوسة وهي تتأمل جسدها الذي غطته بعض النحافة الغريبة، وارتسمت على محياها ذؤابات الموت والضياء دون أن تستطيع القفز على عتبات الزمن نحو المستقبل ذات قرن، أدلى عليها القرد العفريت فلم يجد في مكانها سوى اللفتة التي اكرهت الفئران على طقطقتها بين اسنانها لتجليدها القوي والخشن، ثم لاتفأ في أن تستزيد في تكذيب نفسها متجاوزة مشاعرها..أثر ثلاثة فوارس بيضاء مشاغبة ضد الحكم مخصية الفحولة مرششة الأقدام مخضبة بحمرة داكنة، كالحناء وبجانها كبير العفاريت يضرب ظهرها بالسوط مصنوع من عود الكرمة أو كمن يكتشف كذبهم التاريخية وهي تحاول الفرار الى ما وراء البحار الزرقاء زرقة السماء، ثم تخرج من الأرض مترية، على فراغ مهول وهي تحاول انقاذ حوافرها من الطين حينما تخرج قدمها تترك نصف وسخها ملتصقة مع الوحل. ولما عاينوا مهمتي الخيول بشارات الأقدام عوز ذلك الى قرون عابرة لم يوثقها علماء الآثار وعلماء العد والحساب الذين أختل عليهم العدد وقد أعيتها عملية السحب وعلى من يحاول انقادها يجلجل صداه، ملأت الدنيا والوطن الذي أتلفت النيران جزءا كبيرا من أحياءها كل شيء مغلق أمام ابواب القيامة المحدثه الآن أزيها، فمن تخلص رونقة الأشجار وسهولها وجبالها من هلاك قلوب محتوم واجساد مثقلة بأشياء وضع فوق رؤوسها ألوانا من العتاد والاشكال سارعوا، فوجدوا آخر الصيحات لمدارس اطفال كان مصدرها جنون القدس وآخرها الريف

الشمالي لأحد المناطق العربية لكنها مجهولة الوجود المحدد، فما الذي حدث حول البوابات الكبيرة للمدينة، اندهشت اللذة وهي تزيد في افراز الكثير من الهرمونات وتقذف المزيد من الذكور والاناث فأدركت أن سلسيلها لاينز عن ارتياح ضمير الخراب، قنص بيده المعطوبة اليسرى لبندقيته فأصاب احد العبيد البيض فر وبيده غلام أعمى البصيرة وجميع الكلاب تلتف عليه، لكن مظلوما رفع يديه فوجد أحسن الكلاب المقتنية لأثره، وأن المصيدة هي مجرد طائر كان على رأس الواد يبحث عن بئر ماء فتلقى حتفه من ذلك العفريت الهندي وليس شخصا هاربا من أحد كتائب العصاة. بدأت هذه الفوارس تجر خلفها دهشة العيون المثقلة بالأحزان والعربات تجر ركام الأزقة الشاردة وأوحال المدن المنسية الهرمة الجدران تقطم جدرانها معارضون عهدا بهم مية منذ زمان مضى، أي منذ هيجان البحر وجنونه على العباد و على تلك القبور المستطيلة التي رمى أكفنتها بين أزقة المدن.. نزل العفريت وفك كل ربطاتها بأظافره ثم عمل على تمزيق اقمشتها التي اصبحت حائلة اللون الى الصفرة الفاقعة، ليرى الناس مدى قوة رائحة الأنفوس الأدمية وهي في حالة بعث ارواحها كيد وعقوبة إلهية على حلول روحها في جسدها عكس الملائكة، اشكال في ارواح واذ بغلام على قارعة الشارع يغلق انفه ويمر مسرعا حتى اصطدام بعمود خشبي كان منتصبا، فسارعوا بنانه كلهم يتصادمون على بعضهم البعض تداخلوا في ما بينهم دون أن تجتاز يابس واخضرار أرض واجهات العرب المحروسة من الثوار. تأكدوا هذه اللحظة أن أسرار الرؤى كلها ذهبت مع المدن الساحلية التي كان قديما يواجه شعوبها جنون الملوك وطيش جوارهم الغنج بالضحك الصاعد من قلوبهم المتفسخة بنفسجية، مثل الطماطم القديمة بل أن تبوح عقولهم بما حدث قرأوا كل التفاصيل وكل ما بلغهم من ذلك الملك، ثم استسلموا رغما عنهم لإشاعات أبكت كبراء الحكام جلاله

بالدولة، تحولت إلى مئة وألف كلبا مسعورا مقطوعة الذيل، في لحظة غياب أذيالها لامتياز ترحابها من عبوسها، وهي تحاول التسلل، كقضيب المفتاح إلى مضجعها الدافي من أسفل أبوابها السبعة النحاسية، حيث غلالة من الضباب بدأت تغشو كأبتها والجراح المتحالفة مع غمض التاريخ ظلت تنمو وتتكاثر عليهما، كالفطر ثم غابت فجأة بين صدر السماء المزرقة وجحيم البحر المتلاطم على شطه وهو يرسل تلك الأصداء البرية الموحشة بالأشواك وأشواك القنفذات الاناث، شعرت بالخوف المهول وهي تخطف عيونها وبؤبؤ أحداقها اشكال متداخلة وجثث محشوة بالتبن وكأنها تمثل مسرحية هزلية ان هي كخيالات سوداء تخرج منكسرة وتود استعادة عافيتها، وهي تداعب أشباحها وعلى ظهورها فحم الحريق الأسود، فلم يسعفها وقع اللحظات المزمنة بأن تقنع واقع الأشياء وهي تحاول أن تستولي عن زرقة السماء السابعة، ففحم الأشياء العتيقة لم يغسل اشكالها حتى هدير المطر و هي تملأ وهاد الأرض العطشى، منذ دماء دجلة والفرات، فعبر السنين فلم تتوان أن لطخت بسرعة فائقة زليج وجدران واطارات الأبواب للقصر، وعلى فناء غرفتها جواربها وهن يمرن عاريات والجسد يتنفس غربة الشوق التي اطلت عليه الآن، منذ أن مس الغيث من على حفرياته المتجوفة نكد الجنابة ورائحتها التي كانت تقاوم احسن الفرسان وتقمعهم في شراكة ليبيعون ضمائرهم وفوقها اسلحتهم الغرناطية الاسبانية النحاسية، مثل عارضات أزياء يحتجن على أثماني العرض بحافة الشوارع في مشهد جنائزي، في شكل غريب وعاجز للدفاع عن رغبته الا من تبرز مفاتهن التي تسأل عن مساويه ومحاسنه تجاه رؤية الذكر والرجولة وحتى ملامح الرجل لم يستطيع اشتهااء الرغبة المستوفية لجنونه المتعبة في فوضاها، لست أدري ماكان يهم بعد كل هذا، اخرج العفريت من خيشمه اكياسا صغيرة وأخذ يضعها بأرقام مجهولة العدد فوق ظهر كل واحدة

منهن، ثم يضرمن النيران، من على أستار مرقدھا بقطع من بقايا كرطون علب الهدايا.. أو كما هي تتسلى خصوصا وأنه قد طلع من البئر حية ذات سبعة رؤوس وهي ترقص والبندير تحت اقدام العفريت يؤخر يديه ويسقط على رأسه، ثم تأتي صغار الجنيات بالماء في اقداح تقدمن الهدايا الناذرة الدالة على رونق زخرفتها الجميلة هي الوحيدة من بين اخوتها التي تروي مرتين في الليلة، دون البقيات لعنة كبيرة منيت بها للغوص في تلافيف الخطوط المحسوبة على قرن كامل وبضعة أشهر من لحظات العري والجنون وغياء الحمل وتعب حملته، فلما كانت تروي ما حدث لها غضب العفريت وعري عن نفسه فملاً يده بالتراب وراح يتحمم به أنفدت حبيبات الرمل نحو ملابسه ثم ألقى به صوب البحر، أما الحضور وقد غلبهم السكر حتى الثمالة فقدمت القردة ليلا من مختلف الاتجاهات، فأمرهم العفريت بتكسير كل الأقداح والبوقالات الطنية على رؤوس السكارى.. الشوارع لم تتغير كثيرا كالكهل المهوسة بمراهم التجميل، رغم لمسات التهديم التي دمرت بين الفينة والأخرى أشجارها المنتصبة أمام المنازل أجلت خطبتها الى اشعار آخر، فخرج كتبها الذين هم من نسل بابلي متدلي الأدين كالحمير وهم يحملون شواربهم وأكياسهم ملاً بالطين الذي يكتبون عليه ثم يحرقونه حتى يسخن دون أن يستفسروا عن درجة كسوف الشمس معه وتشديد تلك المدن من العظام من الجثث المضرمة النيران ودرحة مقاومة جدرانها عبر العصور، ولكن وعلى قبل انقضاء الهزيع الأول من حرارة الليل وهم يشاهدوه دون بغلة، وسرجها على ظهره والنوم يغالب جفونه، ظلوا هكذا ربع زمن على تلك الرؤية الخدوعة، ثم أخذوا الرماح الملقاة على الأرض باردة، فعرفوا نوعية السهم التي خرقت صدر الغلام الأسود دون أن يسقط ميتا وشوهت بهاء المدن الأبجدي بصفة نهائية.

قال الخصوم وحضر الكلام المتتابع الا على شكل واحد وجهة واحدة فنظروا القردة الى الصندوق فوجدوا شقوقه قد اغلقها التراب وشهدوا على مغلاقه ولولبه الحديدي فقصفه صياد فأجلسه بدماءه فأبلغوا سفارات الطير عامة بئس المكافاة ولا يسلمها الا العفريت في حفل بهيج وكانت الآمال تشدها سوى خيط خافت كورقة صغيرة تتفادى السقوط وتغيب الحقيقة الأخرى، في وقت استباح فيه مجانية الأشياء نسي الناس بلاهة من لم تحسن العد وقد وجدت حسيهم أن أصبعا من أصابع يدها ناقصة مبتورة توهما، دون أن تعلم أو تحس بأي وجع وفي أي فصل حدث ذلك.. وقبل أن ينصرفوا ابتعد عنهم القرد، تذكر ثم عاد وحمل الفأس طيلة سنة وعام، فمن حاول أن يبتسم عنها ساخرا، قطعت رأسه، ثم أحيتة ثم قتلته بجلالة الأنبياء الذين تركوا في هذه البركة، أنا ويحي عليه السلام نملك كل هذا الجنون.. أقبلت الجازية وهي تهول من أقصى وديان ملأ بالرمال والأحراش وأقدامها مطبوعة على الأرض، حتى صارت تبكي وتشهق وتستزيد في حل عقدها بأسنانها وهي تروي للفارس الذي أرفها على فرسه الأبيض قصة سقوطها من ركب القافلة، فخالفت خطاها فجاءت الرياح فدفن تأثر السير، فلم تعد تجد منفذا أو مخرجا للعثور على الركب فكشفت راحتها التراب وسقى التعب روحها استحيت أن تقدم على الانتحار من أعالي جبال شامخة، فلما أطرقت بنفسي وجدت منتصبا أمامي امتنعت عن الكلام والبوح بما رأيت مع عفريت الجن الذي سرق مني رغبتني عنفا، فتركتني مشوشة الخاطر ما يزال الخفايا تأتي أدراج الرياح زحف ما، أي عقرب ساعة كانت و الأمر يحتاج إلى المزيد من التفاصيل الغير المنتظرة يبدو أن الذين يسوقون بدعة الأشياء عن سقوط عشرات الضحايا وبعضهم يحاول قلب نظام الحكم حالا التي ظلت غامضة علينا، أمر صهر الجازية أن لا يدخل سوى شيخ العفاريت ان له حاجة عاجلة جدا، رفعت

رأسي، فوجدت رتلا من الواقفين منهم عفاريت و ثعالب مبتسمة وحيات لأعرفها بالضبط وكلهم تمنوه أن يكون راكبا على فرس لريح الوقت وسرعة وصوله لكافة المدن ماعدا القردة و هؤلاء قد غالبا سمر طوال الليالي الفاتئة فلم أبصرسوى ملامح وجوههم وهي محمرة خوفا، كالطماطم مع صهر الحاكم وهو يتناغم في نوم لامثيل له البتة..تنحج كبير الأعداء و هو يدفع في صدره إلى الأمام كالديك المغرور، و ينتشي من أعماقه تهيدة حصره طويلة المدى، حتى اصفر وجهه حرجا من الأمر: المهم أننا توقفنا في أكثر من زاوية ولحظة لدرجة أن حاستنا السادسة استغربت لحدوث في غير محله واستفحل الرؤساء ماحدث وأعجب عالم الشم بذلك جال في الحاضرين الجواري وهم يوزعون الهدايا والأقلام الخشبية فلما بلغ الكاتب اليهودي ما بلغه دس كل القراطيش في رحم الأرض، وأمر بسكب كل قنينات الخمر في التراب، فصرخت القطط ووقفت على رجليها ودخل الغراب وضرب بجناحه كل ما على الطاولات، وفر غاضبا وعلمنا يقينا بأنها تعرضت و هي في حالة تفقدية لرعيتهما لسبع رصاصات ضيعت بهاء ألوانها النحاسية.امتلاً الجو برمادها، ثم استقبلت الجدران غبارها رويدا رويدا إلى أن هدأت الرائحة بالأنوف حتى وصل الى المدينة الجديدة وأمر السكان بغلق نوافذها وأبوابها خوفا من تورط بعضهم بذلك والا يكون شاهدا على تلك الروائح، سقطت كلها باردة كدموع اكتشفت في آخر لحظة أنها ليست عذراء من بين خمسة آلاف جنية بحرية حمراء، توحى بالحنين الى ذكورهن والرقص مع العفريت وكان تضع كل من يود مضاجعتها اسمه على منديل ولما ينتهي من ذلك يؤرخ اللحظة العدمية على كفه وينزل يده على سطح البحر ويقبض على حفنة الماء ويلقيها غربا لسؤ ما..الا واحدة ثقبت عباءتها و أصيب على أثرها كبير حرسها، و صهرها بنفس الدرجة قيدت الجازية فوق الحمامة العجوز، وهي منكسة الرأس والأذنين

نحو أعشاب حرشة، ولما توسط الطريق، بدأت تسرع في ركضها والجازية مرة عن أخرى تلتفت من ورائها، فصيل طير الغراب وهو يرفرف من يمينها وشمالها، ثم تحط فوق رأسها كالتاج، وضع للحمارة قانون السبيل الأوحده والأقرب للمدينة بمنقاره، ففرحت وهي تحرك بذيلها وتضرب بها مؤخرتها لكن مع بداية الغروب قال له أبوه نام وأستفاق مفزوعا، وقد وجد في منامه ما لم يتؤوله حتى يوسف بنفسه أن ثلاثة من أبناء الزناة، هجموا عليك وبقروا بظنك وسرقوا كيسك وزادك، وقد اعتقدوا أنه ذهب من بلاد الفرس الى بلاد العرب وفي منتصف الليالي العشر قدم النسر ودس، بمنقاره مراسيم التوطئة في صدر الجازية حاملا تصل أول مكتب تمدها لرئيس الديوان، ثم تدخل تمشي على أربع أرجل بطيئة كالكلبة الملسوعة حتى إذا مست بلاط العرش نفضت نفسها ووقف تتمرغ، وحشة قاتلة شعرت بها وهي تتمدد على حشيش العمارة، كطفل لم يوفوا له بوعدده اللحظة فقط، ثم سكن ميتا و الرصاصات الأخرى زارت مناطق عديدة ثم اخترقن الأفاق الأزرق كالصواريخ باتجاه الماء المنفصل عن الأحياء التي كان بها أثر قدمان واحدة حافية أخرى منتعلة، الأولى ماثورة الأصابع والأخرى قصيرة القدم جدا، يبدو أن صاحبها حسب آثاره يبلغ جهدا كبيرا في المشي للنجاة بجسده، والفرار من عملية الحرق الوشيكة، وقف عليه العبد بعدما طاف المدينة خفية على جناح الليل فلما رآه حراس المدن الساحلية اطلعوا رجال الديوان بالرئاسة وأرسلت على أثره المراسيم الوزارية والدولية، فأضربت الدفوف وقرعت الأجراس بتشديد الأمن على رأس الحدود، فأتوا بالأطنان من الرمال ونشروها بمعايير الحدود وهي نفسها التي سلكها قديما أبرهة الأشرم وهو يود هدم البيت الحرام، وذلك للتوصل ومعرفة هوية الأقدام واقتفاء أثره الحقيقي، فالأمر يحتاج الى من يعرض الأثر على خبير في قبائل العرب مثل عقيل أخ على ابن أبي

طالب كرم الله وجهه لمعرفة هويته وفك لغز الرسالة التي وجدت مطوية داخل حذاء عتيق كان ملفوفا داخل أشياء ثمينة من خارج حدود بوكانون بمغنية غرب الجزائر الى الجنوب فأرسل الجند وقطعت أيادي رجالهم ورشم أحذيتهم بنوع من الحناء، ثم هزوا رؤوسهم بالنفي والحرق تملأ قلوبهم والخوف من السفر .. هكذا وهم مساكين لايتحركون سوية، وهم حالة عرج كالآلة القديمة وألبسة مطرزة تغطي عيونهم ورؤاهم، فظنوا أن عقابا نزل بهم منذ القرون الغابرة فوجدوا الصد والحنق من الباعة ، فأدبروا هاربين كالفئران نحو قنوات صرف المياه على أرصفة الطرق، حيث شيوخ الزوايا العارفين، بفنون الخط وأنواعه حبر حائل وقصب رقيق السن يوزع الحروف بشكل بيضوي، فكان قد أنتبه الحاجب، لما احضر العرش كل جنده فنظر يمينه لئن يوثق ما يمليه عليه فلما لم يجد أوراقا من الذهب خط ذلك على حافات قماشه المزروع من ماء الجنة شكل لاهو عربي ولاهو هوسي ولاهو فاريسي، الغريب في طي الورقة أنها كانت ميتة بداخلها حشرات صغيرة جدا، فصار الكل يستغرب من أمرها وما أطلع عليه الولاة جميعا وهم في ساعة المنادمة والعشاء وطققة المعالق فأبدوا سخطهم على وشاية العفريت حيث لا يكون نوعها الا في غرناطة بالأندلس، شاء القدر أن ينقلها فارغة الأحشاء مسلوبة الروح عبر حذاء من منطقة لأخرى، شهد العفريت اثنان ينتحلان على زاوية من المسجد الكبير للمدينة فخطف أحدهم وشذخ رأسه الأرض حتى طار جسده في طرف آخر، ربما تغدت من ورقها وتسمت بمداد الحبر يبدو أنها لم تستطيع مقاومة رائحة المادة الكيماوية هذه الرئحة لم تهلك ولم توقف الا تلك البراغيث التي زحفت، على رفوف المجلدات الصغيرة بالشرق الفاني، ومخطوطات الزوايا فهي لاتتوان أن تؤرخ للروي والمشافهة الزمنية حيثما تفرغ الأقلام تنطلق الحكايا التي تحتفظ بها الذاكرة المملوءة بالمشاهد

الخارجة عن أعراف المدينة لولا الغربيون الذين أنقذوا بعضها بمحلولي المواد الاصطناعية، فسارت الجازية تتجسس عن الغلام وتحاول أن تركب الحمارة ومعها بضعة كلاب حراسة اخصائية في البحث عن الطريدة أو المصيدة لم يشعر بها حتى ملاك العفاريت ،حينها خاف الكهنة، حتى على تعفن الحمل و أن تتسرب اليه البراغيث،باعوا منها الأطنان من الكتب وهي محملة على البغال سافرت الى حيث جبال روسيا والصين حتى وصلت بها اماكن خرج الناس يتسابقون حولها، فنزل الدرويش الأبله وفتح مآزره ونشره على الأرض وقبل التراب ووضع أربع صخرات مثبت به فراشه المرمي على الرمال أتوه بالماء وفاتحهم الحديث في سرد جثث العفريت الذي سمعوا به قديما قبل أن يتحول الى مجرد هيكل عظمي وضعوا شروطا مغطاة بمنديل أسود حزين وفي الأيام الشتوية ومن شدة البرد والقرس ظلت الأصابع جامدة وتتفرك عن بعضها الا داخل الفساتين القطنية حتى ركبها السخونة اللزجة فأصبحت طرية طوال الليلة، تم تجمعوا، عقدوا مجلسا طارئا دون عنوان كتلك الليلة الموالية التي افتتحها الرجل الغريب دون أية فاتحة فهموا الكل أن الجازية تكون قد غيبت له ماء وجهه من شدة جمالها البراق اسرع ووقف، فمضى يضع بقية الكتب الضخمة في مكان مغلق والسرور ينتشي من خلده نصيبه، فناولوه في الصبية قطعة خبز ووضعوا له بعض الدنانير واسترشدوا بأن نضيف لهم ما عنده في انتظار جعل لذلك مراسيم هامة وانشاء قاعة خاصة بالحكي أو مذكرات عمل مسبقة.. ذهبوا فأخذوا ما وجدوه من بقايا قبل صلاة الشك التي أمر بها المعبد اسرع الجواري بتهيئة حصائر العبادة وسط ساحة كبرى عمومية فأومنت الحمارة العرجاء التي كان يتعيف منها القردة الى اناء مطلي بالذهب نصفه يغطيه التراب السميك فوجد العفريت أكبر صعوبة لأخراجه، رجع القهقري ولطمه بحافر قدمه، طمع كبير القردة لما طار نصفه في

الهواء وهم يتابعون مكان سقوطه، وأما النصف الآخر فقد تحول الى قنفذ أنيابه هي سوار الجازية الذي سرق منها منذ عشرة قرون، لما كانت في حالة سكر وسمرحتى الثمالة مع فصيلة من غلمان القائد الروماني الذي انتحر ذات ليلة قدر، سقطت الملائكة وفرت العفاريت فظلت تلتقط ذلك الهيكل المتداخل مع بعضه بعدما قدمت القردة بكلايب ولفتها في كفن أبيض وسلمته الى العبيد السود ثم الى خبراء الجنائيات والحمض النووي، فأستاولت عليها الدهشة، فحفرت أشكالها ضحكة مجلجلة وعاد الى بهو جهنم، فأولوا الرؤيا قبل أن تلوک أفواه الرعية خبر الليلة.. و في اليوم الموالي بات الحرس منشقا كانفلاق البحر الى دفتين وبشكل جنوني بدأ يهتز ويرتفع كالأفعى المثقلة للعباب بالزبد، مسح هيجانه كل حواشي الغضب فلفظ معه موائد من الطعام والأواني التي كان قد اهلكها وقت الغروب.. اقبل الليل وضربوا في وجه العامة الأنوار الصغيرة التي كان يحملها كل رأس في جبهته كباحثي المناجم، ثم مروا على كل الأسواق الليلية، فوجدوا التجار الكبار وخصوصا بائعي الصياغة في غفلة من ذلك، ازدحم المخرج عن الأبواب، نزل قائدهم فأمد الحاجب مرسوما به اندارهم لمن يحمل هذه العلامة المثقلة بالسموم العصرية، ثم يبصق على العامة بصوت عال، ثم يتراجع هناك قهقري ثلاث ليال بين الأشجار تنحت على اخضرارها بداية يوم جديد وعنيف، فقبل نبوة الفجر الساطع اعلنت الحكاية أن مستشارة الجلسة الطائرة وبحضور أكثر من مائة عفريت تخلى عنه الحملة لمدة ثانية، فقصده المرسل في الليل فطرده فقصر في حقه ولما سمعت ذلك اشترطت أن لايدخل عليها قائد المهمة حتى تبصق عليه صغار القنفذة. والأمر لايعدو أن يكون مجرد مكيدة أو لعبة بيداء مجانية غير مدفوعة الدنانير، لم تفتأ أن اعترفت بتهريب الكثير من الأسلحة عبر المنافذ السرية الثلاثة حتى ضج القيل والقال لدى باب العرش، وأغتدى يشك حتى في قردة وببغاه الذي

دربه حاجبه على التريد عكسيا فعمدت العامة على تصديقه أحيانا على روي واعادة لما يحدث
بداخل قاعات العرش، فوصل ما وصل لصهر صاحب العرش، فضربوا الحاجب واركبوه ظهر
البغلة، وجالوا به القرى والسوط على ظهره وهاهو البحر يمد موجاته، لذا يرغب في أن يستيقظ
فيك الرأفة بالأشياء والرحمة بالعباد وأصواتهم الغابرة لحظة الغرق والاحتضار، تلطمك مياهه
قرب قدميك والحيطان العالية ترنوا فيك كالجمال الصنم، فرحوا بك النمل وقضوا حوائجهم
الثمينة، واكتشفوا أن الجواري معك ، حيث فروا بمعشوقتك الافتراضية، فتبسم العفريت وانحنى
القرد رأسه استحياء وانقلب على ظهره وظل يلهو كصبي فكت صرته فجأة ،لئن يستجدي بك
لأنقاده من فطرته من هلاك الثيران و الصيادة وهواة السباحة، وفي انقاذ أرواحهم، التي تحولت الى
مجرد فقاقيع وانكسارات مائية، جاءت الجازية مكسورة الذراع ملطخة الوجه بالطين، فخرج
الجميع يتشفى فيها ففرح لها الغراب وظل يقفز ذات اليمين وذات الشمال فأقلبت الجنية بالطاس
فأخذها الى بيت مهجور وأعتنت بها ايما اعتناء وفي آخر المطاف تخلد بين الصخور المقعرة
متسلحة بالأعشاب، لكن سرعان ما تنقض على جلودها الأسماك والحيتان الكبيرة لترميها بعد
العملية الصعبة للبلع ببطونها، كتب الكتاب الى أهل الأندلس وأسواق غرناطة صاحب العرش، لئن
يحضروا شخصيا وان يتقربون الحدث من على سطوحاتهم فاذا مضى النهار ثم جاء الليل
واصبحوا لا يعلمون شيأ من ساعات الأسبوع، قدم العفريت وربط الغلام من قدمه وأخذ يدوره
وسط عمود خشبي، فلما لم يثار هيجانه غمزت الجازية للعفريت سفك حبله، وضرب على
مؤخرته، وراح يركض كالحمار ثم تتجاوز ترحيلها الى بقية القارات، إن صادفت تزامن رحلاتها الى
هناك تدافع المناصرون بمجرد وصولهم خبر صهر الجازية دخلوا من شتى الأبواب أول مواجهة لهم

قادتهم مع العقارب تشربوا السم، ثم ألتقي بعضهم ذات ليلة باردة على كؤوس المنادمة منشقا رفقة الخصوم. تقدموا مع غبش الفجر أيقظوا أحقادا دفينة لأول مرة، برعمت كالجنين، فظل الرصاص يتراقص وتتبعثر و يتطاير بين أقدامهم، و فوق الخوذات التي تغطي كل رؤوسهم مستعجلا غياهابات الموت على أسماهم وأجسادهم، فلم يلبثوا أن انسحبوا بعبث الخوف فاكثوت الجازية بنار الحطب، وطارت جلدها ملتصقة مع القميص حتى ترك أوشامه المذهبة بها، فأكثرت لها العفريت بغلة بدينة كانت محبوسة ويرمى لها أحسن العلف فأركبها مردفة مع غلام يحسن السير في البراري والاشواك ولما وصل الباب ضرب لها موعدا مع الحجاب، فجاء من الرعي فغالطها في عدد شهور السنة، ثم ولي مدبرا وقعد على أريكة وراح يمص جرحها وهي تتأوه حتى انصرف، وأدخلوها في بهو حتى بزوغ الفجر متخفين في غياهب أضلاف الحديد الصلب المحال على القدارة والأماكن الخربة الضائعة الفعالية خلف الحاميات.. سال دم الغلام من ناصيته وهو خارج فار من زقاق مظلم، فانطلقت في طريقه بعض الزواحف نحو جحورها ووطأ بقدمه على كامل الزرع فدهسه وتشوش خاطر الجازية لما عثرث على إحدى نعليه تلهو بها احد الفئران فصارت تلبس الحداد والحزن حتى ألقى عليها القبض من قبل حراس الحواس ورجال مناويين لها منذ خلافتها، فاستجوبت بحجة مخالفتها لباس الأعراف السائدة ومع ذلك لم تشأ أن تروي قصتها، فلما تقدموا بعدما فر الأعداء بسرعة جنونية كبيرة، وجدوا في أماكنهم خلاخل، و قيارط و خواتم من فضة تنذر ببعدان أهلها الغابر ذكرت لها الأحجية أن الأيادي كانت مقطوعة ودون خلاخل قاموا عند العرش ثلاث ساعات، فأتاهم القرد بطست ماء وبداخله مجموعة خواتم ماتزال مدمية فهز رأسه العفريت ووضع يده على العصا فصادفته الرؤيا بقية الجاريات، ثم كتفوا القرد ووضعوا على

رقبته رقما مجهولا ظل يتلاعب على صدره لما يزيد عن العشر سنوات كاملة، فجاء المهرجان السنوي فأعطوه الكثير الدرهم فإما هؤلاء الأشرار نسوى أو العدو أراد أن يوهم الحرس بأنهم ليسوا ذكورا حسب تأويل رؤيا أولى الكهنة، فلما أصيب الغلام مرميا على باب المدينة وما زال الحصان على رجليه اليمنى والحشيش داخل كيس على ظهره فغالبه النهوض، حيث بقي يترواح مكانه رغم معصيته ليلا فكان أهل القرية يتمنون معجزة ملك بطيفه يقعد عند رأسه وينتفخ في قلبه أرواحا فتية ثم علت نحو سطوح المدينة الأخرى و الكل يعلم أن بإمكان كبير معبد الآلهة أن لا ينام البتة أو أن يموت برجفة استعبادية فوق سجاد معبده حزنا على الأفكار الحاشدة أو بأزمة قلبية دون أن تحدث ضجيجا، وقع في خلده ما وقع في قاعات العرش فأزدحمت عليه الأفكار، فأحضرت الجازية ما كتبه العبد الأسود عن سيده غمزت له بطرف عينها فأسقطته في حيا طوال القرن والنصف فقال لها لعلني لم أنم منذ ولادتي الا بمثل هذه الليلة، عانقته مشى داخل شرايينها في ديار العشق رفع حاجبيه ونظر إليها جيدا، علم أن ذلك لا يكون الا وحيا يوحى بعيدا عن علاقات البشر رغم كيد وحسد العفريت، وعيونه و جواسيسه وأينما حليت يأتون بك مكمم الفاه بقرب هندي متين و مكتف اليدين و الرجلين، أنقذك من طين الحرام وتحدث بعضهم عن لونك الهلامي، وأعظمهم يتعجب من أمرك فأحرق مشاعره احتجاجا عليك وعلى فكرتك على أن يتغير أي شيء، في الواقع هو من ذاتك، الكل يتحرك على أحسن ما يرى مسلموا كل الصبايا الرضع للعفريت، ختن سوداهم وترك البيض منهم، فأكتشفت الجنية للعبة فقال واحد منهم اسمي لا يتكرر في التاريخ، نظر إليه الحاجب فسكت عن الكلام البذيء . جاء ملكان فقطعوا لسانه ويده ، وتخابروا مع كبير القراصنة الذين هم من ذوي القلوب الصلبة كحبة البطاطيس فهي

لاترق الا لبعضها البعض، محترقة أول دفعة بالطمع واقتناء صناديق الذهب والفضة استمر العنف الى حد الأبواب السبعة، وعلق على جميع الجدران خرق جديدة عليها مخطوطات مسودة تحمل تواريخ لم يتبث عصرها حتى الجدات، اللواتي عشن ذلك العصر العدمي بأمتعته العتيقة، سألوا الكل فتوصلوا الى كلام هذياني يشبه حكايات الأطفال ولعيم، أي الذين هاجموا الملك وقردته ربما لهم أعوان و أيادي خفية تحرك كسدنة المعبد بخيوط اللعب رقيقة شمسية بنفسجية اللون خفية كالدمى أهتز الجسر من كثرة الأقدام الخشنة وتحتة حروز مشدودة بخيوط مكمشة داخل قطع قماشته مسكوبا عليها ماء الذهب، بين جانبيها العلوي والسفلي لاتكاد تعرف مربطها المنسوج بعناية فائقة راقت جمالها حتى الكهانين والمشعوذين في ذلك الزمان الغائب، حتى يتمكن له شق الحرس وسفك الغلام ببغلته، وكان كافيا له هو أن يستمر لمدة أطول بألبسته السوداء حتى يدفع مجلس الحكم الى الاستقالة الفادحة، علم بالأمور العامة وأختفت الحقيقة المثلى عن كبير العفاريت داخل ونحو ساحة العرش، وهو ينفذ جناحيه من غبار طالت جراء عاصفة هوجاء أنغلقت العفاريت داخل سرعتها، ثم أمتطت مع رياح البحر، ثم جمعت كل الدماء اليابسة التي جفت بجانب أماكن تجمعت فيها أكثر الجثث الآتية من مدن الغضب والطباشير، رحلت مع بقايا سكان جنون اليمن وحضرموت نحو أقاصي العرب حتى شذخت معها أعمدة الخيام الضخمة و لا أحد يدري كيف تمرد على مسالكه وعلى بعضه البعض، وقد أشربت النزاعات والخلافات التي تخطت الحدود وبنود الود، تعرض ثلاثة متمردين من العفاريت في هجوم انتحاري داخل مجاري المياه وشلالات العرب بالأندلس، فخرجوا بحكم محكمة الجان أن الجزية روجت لأكاذيب على بكرة أبيها وأن شدة الصمت التي تعرض لها الفرسان هي استحياء من طاعة

الغلام الأسود للعرش ونيته المرحمة، وليس مرض الخرس الذي تعرض له البعض، فغرز ابر حادة على حناجرهم بواسطة رماد حامض ومعه نبات يسمى الرمت، فأعيدت لهم كلامهم، فكان عليهم مرة أخرى أن يزيلوا كل ما يحث على استعمال القوة بغشى بصره ويرمى باحدى الزنانات تماما مع الفجر الصيفي، ست بغال أتخذت مسيرة ما تبقى من سيرة صهر أصاب العرش كانت محملة بالسلع ومتاعا الرحيل الى آخر بعثه عشائرية تحدثت عنها الساعة، وسخرت من أجلها أموالا طائلة وأخيرا أنهت الى الوقوف طويلا على أبواب الجنة، فأختلطت المراسيم بالأذن بالدخول لكن العفريت تعرف على نواياهم وطرح مغزاهم على مشورة المكاتب الخارجية، فأمر الجان بختف كل همسات الأقاويل وخلجات ما تتوجس به القلوب وسر بها أولاد الزنا المحفوفة بهم جهنم، فتح النافذة تسربت إلى القاعة أسرابا من الحشرات الطائرة. كانت جماعات جماعات تتحرك بشكل متلف للغاية وتصطدم في ما بينها توجت كل الرسائل بملك بمنزلة النبي على رقابهم مختومة بماء زمزم، فلما يطيب رغدها، تفتح على مرأى من العميان فتعفى رؤاهم وتشفع آدانهم بالتنصت لمحتواها وذلك وبما يتماشى ورغبات العاهرات وبناتهم الزناة، تلون الزجاج بها وسط خطوط الخشب رغم حذرها وخوفها، رجعت الجازية لتو تسأل عن الطست الذي غسل فيه الغلام يديه وهبت نفسها، وتوسلت لك ياسيدي بومدين فلما طلع الصبح تركت خمارها بالضريح فخرقته خطوط النمل بثقب صغيرة جدا وراحت هي منكسة الرأس وهي تنزل من درجه العالي تبكي محزاة، جردوها من كل شيء، وأطلقوا عليها كلاب خاصة تشمم ملابسها حتى ابتلعوها كقطة لحم طرية، تسأل كيف فتح المسلمون أبواب القلعة، و هجموا على المسيحيين و حالوا بينهم و بين البحر حتى لا يفروا فأخبرت كل القنصليات بذلك سرا، وسلموهم بريد دون توقيعه وختمه على جناح

الليل، ثم قصدوا السعاة مدينة الموصل وأطلعهم العفريت على الأماكن التي خربها تيرمولنك، وضرب المعاد للملك أن يرفع لهم المعابد الى مصاف السماء الأولى، في لفتة بصر. زمجر أمين المخافر في وجه الجند الذين اصطفت أمامه مع الكهنة مخلفة غبارها خلف الأزقة الشعبية، وغدير النهر بني بالتراب والطين، لا يحد حدها سوى الحصى، فكانت بعض الأسماك القزمية تلتطخ حافته مرمية محمرة العيون تنبعث منها رائحة النتن، ثم يرميها رأس النهر، مع مضيق تحت النخل الذي نشرت على قرنفة وسعفه بعض العرائض الشعارية، أنكسرت بسرعة النجم أمامه، وهي تتشرب هم الخيبة المشبوهة لحظة تداخلها مع تلك التساؤلات العديدة، حول امكانية كشف المستور قبل الانزواء، كالجراء تحت المآوي وضع على بغلته فراشه ودس قصيدته في كفه بعد مسح عمش عينيه فجرا وعزم على استكمال مسيرته، الخلوية حتى طلع عليه النهار والمدن خلفه فكبر قرص الشمس، حتى فزعت الفئران من سطح الأرض نحو النخيل والجحور تحت ركام البيوت القديمة ومتابعة ما يجري. بعض النفر بدأت تصطدم في ما بينها وتلون بها الزجاج وسط خطوط الخشب، رغم حذرهما وخوفهما من الاشتباك والتشارك في المعركة قالوا لانعلم الا بما نعلم من هذه الأخبار أعتاظت بعض الصبية ولم يحتفلوا بمطلعه، وقدموه رفقة دابته التي جاءت متسللة من نوافذ الجنة، ثم أمر العفريت بطرح بعض الأسئلة على شقيق الجان بقي قرنا فلم يحرر أي جواب، حتى جاءت الملائكة فزعت به نحو قردة النار، فهشموا، عظمه اخرسوا أيها القردة، تشاور مع نفسه و سألهم مخزيا بخواء كبير خرج العفريت وألتفت ذات اليمين وذات الشمال وأكتشف أن بقايا حروبا قد أنهت مذ وهلة فقط. ضحك صغارالجن وهم ينتظرون الى قرص الشمس حتى أدمعت عيونهم وولو الأدبار نحو حميم جهنم خشية العمى. أطلق على الخصوم عشرون فارسا أدهما

جلهم أعتقد أن ذلك مجرد خطأ بدر منه بالنسبة لهم رأوا أن تفحص هويتهم يستدعي الوجوه والنوايا التي لاتموت بمجرد بزوغ الاختلاف مع الآخرين، فرفضوا عليهم دية الحمل فنظروا في اليوم الرابع الى بعض محاورات الشيوخ جرى ماجرى، وأستنتجوا أن ينحر مائة جمل وخمسين شاة وتقام مهرجانات ووعادات الذبح خارج اطار كل قبيلة أو عشيرة ويختلط الملك بالأنسي مع الجن، وفك قيد كل المساجين، الذين ناصروا ملكة بلقيس في ذاك العصر الموبؤ أستعصي علينا هضم سر الفارين وحرفة الذي يختفي وراء خدوش أياديهم وانكسارات ملامحهم التي غزاها البرد الشتوي باتجاه أفواههم المحمرة احمرارا داكنا، ضحكت الجواري بسوق النخاسة من أولئك العبيد اليهود الذين رحبوا بمشترينهم أيما ترحاب، وأنصرفوا وعلى رقابهم أغلال من الحديد ومعها مادة العظام الكلسية، سافروا مع الغلام والخدم نحو الديار الثائرة غضبا ووضعت على ظهورهم أرقاما ضخمة مصنوعة من النحاس كالتي كانت تعلق على رقاب يهود الشيكلة أو يهود الكبوسين أو التوباشيم، فلما وصلوا القلاع بخروهم فوق مجامير حديدية يصعد منها بخور الفال، وفكوا قيدهم واطلقوا سراحهم للحضور معهم ..جاء من الكلاب بدأت تتمهد لهم سبيل القصر القريب من أحد بقايا ملوك آل ساسان المنتسبين لأبرام بن يزد جرد بالعراق أي بني بويه الشيعيين، الذين كانوا ضد العباسيين يبست أحزانهم كتلك الأرض الجافة غضبا على المعز الذي قضى على العباس وأقام العلوية منذرة على قسوة القلوب العالقة ارتجافا كطيور يملأ خاطرها أشياء، هي بين لعبة الحياة الموت جوعا، فلما سمع صوت طير الرسول وقد وقع في مصيدة وهو يحاول التخلص من الحديد، أطرق برأسه وأحتضن الصمت وحاول أن يكذب مشاعره وفي السنة الرابعة عشر ليلا ميلادية لم يزل على ذلك الحال، حتى نفض كل ريشه وظل عاريا مصلوقا، تعجب العبد الأسود من

اختفاء الرسالة وظهور أمر القردة وأمر الجازية عبر الصحف الأجنبية دون اظهار أو عرض لصورة لها، فأخذ الحاجب نصف الصحيفة المذاعة للخبر لمعرفة السنة القائمة بها الثورة والعدد الزائد المختل بين أصابع الجازية وطلع به نحو باب العرش رغبة في توثيق ذلك أو دسها بطربوش أحد أعلام العصر أو رجال الجاه حتى اذا ما باغت المدينة هجوم ما عليهم لا يعثرون على شيء يذكر، فلما قرأ العفريت في السماء الثالثة على نفر من الجن أن القردة ما هم الا مليشيات زمنهم، سجدوا وقبلوا الأرض و أقروا بأنهم وجدوا ذلك مكتوبا على دائرة الشمس منذ قرون أختزل كل الأحداث، وأرسل ما يشبه ملامحهم زندقة سكت الغراب الفارسي المستغل من قبل نفر من العجمة كما استغل الفرس سلمان الفارسي و عن المزيد من البوح بأسراره للثعلب فخاف أن يوقع نفسه في تناقض، فتخترق مشاعره كالورق الملقى أمامه، فمنذ العصر الحالي أصبح يزن كلامه وينقحه، وان حس بزلة لسانه ضرب منقاره على الصخر الصلب، حتى يدمي برأسه وتحمر عينيه دما فالطائر وجدت رجلاه على ناصيته ميتا ميتة نتنة دون ريش، ولم يجد الغراب إلا الرسالة مبلولة مطرا قديما حائلة اللون وصلوا بهم حتى حدود البحر الذي ألقى فيه الاسبان ست مائة ألف عربي موريسكي، وهو يناديهم بعيدا بألف منجاة ومنجاة، فلم يظفروا و لو بواحد منهم ولاحدث أن وقع هذا يوما ما و لا كشفوا عن هويتهم ولا على قناعاتهم الشخصية المرتجفة.. أقام الغراب مدة على حافة الشاطيء ثم فر مشيا على الأقدام خارجا من تلك المدينة وهو يعلم أن هذه التربة فقدت عذريتها من صراع العرب والفرس والبرمك، و خصوصا لما سمع هدير الرياح ورائحة الثوار والعويل والرقص الفارسي الغريب، كعيد النيروز ومهرجانات الرام من جهة أخرى وضجيج العفاريت وهي تهدد المساكن المرممة بتلك العظام بالسقوط ، أهم نسوة أم رجال، الجازية ذكر أم أنثى أم ذكر

مخنت كالسلطة، المهم أنهم يركبون الخيل الفارة من ظلالها إلى حيث الدروب الوعرة ملثمين دون لجام و لا سرج و لا حقائب زاد، حسب أحد البحارة الذي لفظه موج البحر، ضحك العفريت على كل الأجانب السواح الذين انضموا هم كذلك للمتجمهرين وذوي الشغب، الذين طلبوا اللجؤ وهم وسط غوغاء من الزناة الذين عزموا على تهريب الهوية نحو الأماكن الأكثر دفاً ولم يعتر الا على نعلهم مقطوعة المغالق وهي منصوبة على أسلاك نحاسية أكلها الصدا، دون أن يصل الى مبتغاه حيث بقي خائفا طوال السنة حتى تشققت أماله للسفر بعيدا، أستلقت الجازية على قفاها وهي تبتسم وتعيد سداجة صاحبة العرش التي ركبت رأسها في العد، ثم أعادته الطبيعة خاوي الجبين، فقبل أن تجف ملبسه المبللة صقيعا... خرج الغلام لصيد القطط السمينة نصب لها العظام ببقايا جلودها الفائحة فأدركت أن الفخ أعد نهارا، فلما أرادت تغيير المدينة فأمر صهر الجلالة بتجنيد جميع العفاريت الحمر ومن مختلف كبرى الجهات، واحد من عباسي بغداد والثاني فاطمي من المغرب، والثالث أموي من الأندلس، فلما بلغ ذلك الفئران سرت وفرحت من عيونها وأصبحت تحجم من تلك القطط الضارية التي جلبت أزمنة القيء و الجفاف لزملائه، ولست أدري ما الذي حدا بالعبد اليهودي أن يعاتبني من جديد مع الذي أطلق سراحه أعور العين فأقام زمنا طويلا باحدى المغارات النائية عن المدينة الأندلسية لقص واتباع آثاره، ويرى، بجهة واحدة من الرؤية فلما سمع خطوات الغراب خرج ليتابع المشهد و إلى القفز عن الكلام من داخل جحورها المرملة حتى لايلدغ من أية حية، أو أفعى تجددت الأشتباكات بين قوات الجيش وحرس ديار الأندلس فالأتراك حسب الغراب، هم الذين نصبوا فخا كتلك بأحد الموالى للحاكم العربي المهدي العادل عذبه حتى مات، فلما جن الليل بستاره على المدينة أطلقوا العنان لكلاهم أشهرها وأمهرها، تلك

أخرجت أول مرة لحالات تفقدية غذاءها لعق حيض الجوارىء، وغشاءها مواليد الزنا المرمية في النفايات فصار كل واحد منهم يقطع ما أنتصب أمامه من رؤوس، ثم يطرب نفسه برقصة حربية فريدة كالمجنون، فلما أكتشف أنه ليس وحيدا، خفت من علو صوته إلى أن واصل يقول توفى السلطان محمد بن حسن الحفصي وولى ساخنة ابنه محمد الذي كان منشغلا باللهو و السكر فوق الأموات. كان فاجرا مثل أبيه فلم يصحو الا وهو ساقط من أريكته ويقطع يجثو في جيئة وذهابة على بطنه، ثم يركن نحو مضجعه كالجرو والقرد يرقص على ظهره ساخرا منه نظر في الصبأ، فوجد الباب مغلقا عن آخره فأحس أنه قد مات وهذا هو مرقده الأبدى، حيث قتل جميع إخوته إلا واحد الذي أحست الغربان بأنه مايزال حيا، فلم تنعق حوله و هو الرشيد الذي فر إلى خير الذين فاستعان به على محاربة أخيه الجائر، بعد ذلك كاد يموت سكر فرجع الغلمان ينادمونه لكنه أخرج سكينه، فرت الغربان وراح يلوحه ذات اليمين والشمال وهو يتصور أن العبيد اليهود يلتفون حوله ويضربونه بحبات البطاطيس والطماطم الفاسدة، ثم دفع لكل واحد منهم ألف دولار و نام تحت فراشه كالمخبول المصاب بصرع الشهداء، وهو يصرخ حاولت القردة عبثا اخفاء هزلها فسبقتها شوشرتها المشاكسة، فجرجرت أذيالها وظلت تجرد الأموات الصالحة والكاذبة من القتلى من ملابسها المبللة والثقيلة جراء الدماء التي مكنت لمدة طويلة في الظل، ثم تختفي خلف الزوايا كلما شعرت بأثر أقدام صوبها.

راح العبد الأسود يشتم رائحة ملابسها يدفع معه إلى النار المتقدة الأحذية الحديدية لحوافر الخيل بقضيب صلب، لأن يتحكم في ثقبها ثم يحشوها بالمسامير، و يسترسل في الكلام دون حرج وكأنه

يحدث حين بدأ الشط يستعرض صخور رمادية من أثر التفحيم كالعظام الجافة أو هاته العظام الحالية.

و في زمن الليل شعر اليهودي بالنوم فخفتت دقات قلبه كالعصفور فنام داخل معطف صوفي شديد الاخضرار كبير الحجم كالكأس، وكان الزمن قشتاليا ويقف على هواه الأمير بطرس، و كانوا حينها قد أتوا على نهاية كل شيء، أوثقوه جيدا و معه جل أوراقهم الرسمية التي كانت محشوة في غمد مسدود بخيوط مذهبة رقيقة، انفلتت مغلاق الغمد وبجانبه فوهة بها قطعة قصب مورسكية مهيئة خصيصة للكتابة، زفت الرياح خفيفة، فأظهرت عن هياكل أدمية مرت عليها قرون، هلك فيها الزرع والبشر، فأسرعت اليه السنون العجاف التي قد دمرت كل شيء، فظلت الأشياء مرسومة على اليابس يا للروعة؟ هرب الغلام من فوق العظام، أمتدت اليها قفزات كاشيفي الأثار فأدهلتها جماجم هي لمن يا ترى وهي لاتشبه مسلمي الأندلس أي المورسكين؟ أفكاكها السفلى تشبه جحور حيات ملساء فراحت الجازية فأفغرت فاها عن وهي ترى ركاما من صناديق الذهب مردومة تحت رحم الأرض فأخذتها رياح موسمية بعضها كالورقة لم يشده سوى جذور شجرة الدفلى و الكليتوس، الذين وجدوا في لحظة ما ،لما أتت العاصفة على كل شيء، ندبت الأراضي والصخور حتى تراكم التراب على الأعشاب فمات كل الكالأ وفي كل الضواحي العربية ولم ترغب الحشرات الطائرة في البقاء في هذه الجهة الجنونية اذ ذاك لم يكن يحيط بيننا وبين حملة الحمل سوى نهيق البغلة وهي على وشك اجتياز تلك البلدان التي وقعت بها الفوضى والعفريت يزيد من اذكاء رؤوس الفتن، وحسب أصواتهم كانوا يزجرونها على المشيء، وهي يختلط عليها صوت الفوضى بالزجر في حالة من اليأس، وحرن كبير على الوقوف، وقد نال منها العياء مانال، ومنذ أن تنهد العفريت

بسخونة جوفه، كصهيد جهنم على الأشياء، أوحى البلاد بأنها عرضة لجفاف كبير ماتزال سماته ظاهرة على تلك الحشرات التي بدأت تموت لاصقة على أوراق الأشجار الكبيرة، وان يبست تسقط على الأرض كالدود والعيون في حزن كبير هي كذلك، وهي تملأ تلك المساحات، فقدت للتربة حتى نكهتها الغنية بالمواد ولونها الحقيقي، تغيرت خطوط الأرض الطولية الاستعراضية، فضلت الشمس كل يوم تكشف عن ابتسامة خالية من الدسمة الطرية. فلم يكن هناك الا تابوث يبدو أنه قلعت مساميره وأزاحت اللوحة التي تغطي الجثة بقوة نصف أضلاف خشبية، كانت مرمية على الأرض، لحظتها كانت خرق الجازية وملابسها الداخلية الحائضة تملأ أنفي، وضعوا الحمل في الجهة الاستوائية له لما غابت عنهم كل دلالات الجهات الأربع فشد فراغ الردهة التي كان يملأ جوانبها أعمدة أسمنتية مختومة على واجهتها تاريخ نهاية صنعها من طرف شركة أجنبية متعاقدة مع شركة مصرية. كان البرد الموحش مازال يتحول الى دفء رويدا رويدا، فجاءت رياح خفيفة فرحلت معها بعض القشش والأواني المزبلية والقاذورات ومسحوق هياكل العظام، فشدها التابوث وقد غشى شكله المثير للدهشة، بالأوساخ ولم يظهر منه سوى قوابضه الحديدية الذي أنهكتها اصابع اليد من كثرة القبض، حتى أندثر داخل رحمها لمدة ستة قرون أو يزيد، وبها مربع صغير جدا بقطعة حديدية دائرية عن شكل الفوهة به علامة خطيرة بالفرنسية ممنوع اللمس، مثلها مثل تلك الأعمدة الطويلة الممنوعة أثناء سقوط الأمطار، الأعمدة موصولة مصلوبة حتى نهاية الأسطح، كنسوا الطرق وهيئوا القاعات فرحا بعودة الموتى الشهداء الى أماكن المهرجانات، فعند ذلك أنشغلت العامة بثرثرة قريبة من العقوق الابن لأبيه وقد نصحه إن السعاة الذين تحولوا الى قرده يتآمرون عليك ويفتكون زادك وماءك في الرؤيا وتركوك وعطشك، بزغ الغلام فضرب السيف حتى شق السماء، ثم أنسحبوا

بسرعة، أمرهم بوضع أيديهم على رؤوسهم كان قريبي قد تبول على نفسه وبدأ قلبه ينبض حتى غطى وجهه خوف كبير فراح العفريت يحيى الذكرى الأولى لسقوط المطر على أرض الإنس وبدأ القردة يرقصون ببطء شديد وينظرون من حوالهم خشية ضربة عصا عزرائيل وهو يقهر عنت الأصوات المطرودين من رده الجنة، فأكتشفوا عظام الجثث من جديد وعلى المباشر وهي تنفصل عن بعضها البعض وعزرائيل في ضحك هستيري من على القبور بوقعه الخشن دون أن يخشى أن تهوى إحدى قدميه منزلقة، من على الأكفان فوق عظام المورسكيين أو القبور وغيرهم، و أول رسالة أنهم كان في حراستهم كلب هرم أخصائي في الشم لكنه يبدل مجهودا كبيرا في إخراج النبحة الواحدة، كعجوز مصاب بمرض السعال، هاو...! ها...! ها...! نفت العفريت في الهواء فلوث الغلاف الجوي بدخان فاه، وألتفت سبيل النجاة بالحمل على العبيد وهم يطأؤون ليلاعلى عظام الموتى أين يرقد الآلاف الشهداء الذين دكت رؤوسهم خلال حروب الجان والقردة، فأخذ العبيد الحزام ودلوه داخل مغارة حتى هدأ الصراخ، وقد نال النعاس من المدينة، تسللوا إليه أخرجوه بمشقة النفس، وأصطحبوا معهم مائة جارية وعشرون سيفاً ومعهم بعض الأعشاب والفظور البدوية، أختلط علينا تمييز صوت النباح الذي أختلط كثيرا، مع فحيح الرياح الهوجاء، أربعة قرونا سيرا على الأقدام، وقد شعرت بطونهم بالجوع وربطوها بقطع من القماش وخرق العرائض، لأسكات نعيق الأحشاء، وضعوا الحمل وتجاوزوا الخلافات القديمة لكن دون توحيد بين الأقطار والنواحي، حتى إذا ما أدركهم العطش اکتفوا بمص دماء سواعدهم والعفريت يستفز مشاعرهم، ويحاول تعكير صفو رحلتهم الأبدية والقرد يسد الطرق بالصخور والحجارة حتى يدركهم التعب ويتخلصون من الحمل كرها ووقع قائدهم مغشيا عليه فضحك عليه الجان والانس وأخذته قشة كبيرة في

عمق البحار، وخامر رأسه أن نصفه قطع في انتظار باقي الأعضاء ورمي بعضا منها في حفرة كبيرة يعلوها دخان العفريت، فغز البخار كل أنفه وطلع من صدره سعالا طير بعض طبقات القشرة الأرضية السميكة بنفايات العظام والشهداء من علوها فأقبل عليه القردة ونخروا أذنه، ورشموا لسانه وتفحصوا ذوقه وراحوا يمشون على ظهره هربا من غرق المياه كالصخرة حتى أدرك الفجر وأستفاق على وقع اشتباكات بالأيدي والنعال والسباب مع أنه كان يفصل بيننا وبينه مسافة لاتبعد عن مئة متر، ذات ليلة لم يستيقظ فيها حاجب الجازية مبكرا اختطف العفريت جواهر الجازية ودسها باحدى المقابر اليهودية التي تسمى عندهم زقور، وهي لفظة تعني المقبرة عندنا، فكانت مندسة بين فضلات الموتى التي عادة ما يقتات منها ذرية ابليس. كان يكبر الجان بعشر سنوات ومع ذلك لما استفحل عليهم الأمر، فتذكروا الجسور المعلقة لتو التي ربما لايعرف المشي عليها هؤلاء، هذه الجسور مثل حصنها الصلب، تسرب أو تسلل صخرة منها كفيلة بانهيائها بالكامل مثل العرب.. كنت أضحك عليه مرة، وعلمهم مرة أخرى، وعليها وهرمها المغشوش و من داخلي فقط، خصوصا عندما رأوني أشق طريقهم الى نهر النيل، تكلموا معي بإشارات كثيرة وبسرعة كبيرة فهم قصدهم الشعب يود اسقاطها عاجلا مع نظامها وأزلامها وشبكاتهما الشبيهة بالقوارض، اغلقوا خماراتهم وأخفوا راقصاتهم المومس، لحظتها صدو علي بظهورهم، فجهزوا كل إمكانياتهم حتى لايلوث ماء النهر بزيت جلدتهم البراق أو روثهم قال ضابطهم الذي ظنوا انه لقي حتفه باحدى المظاهرات، كان يشبه تماما كبير حراس المقبرة اليهودية قبل أن يبعثرها رعاياه بحثا عن مصوغات الذهب والفضة الوثنية بالقبور لولا أنه يفترق معه في عرجة الرجل اليمنى، والقباعة المائلة، تمت

القطط لو كان العالم يتحرك في نفس اتجاهها حتى يسهل عليها المواء واكتشاف مربيها. كانت تدخل مقهى وتغادر آخر وهي تتفرد كتل الجالسة، ثم تنسحب خائبة لاتلوي على شيء.

- للمرة الأولى انتظر حياتي كلها يفر من بين أيدينا، لأول مرة في زمي أصاب بهفوة الزمن وضحكة العمر دون مراوغة من أحد الأبواب السبعة، و نسينا بداية حوادث الشغب، لكن الأبواب، كانت مفتوحة على مصراعها أنهار كل شيء بما فيه المكان، و في عينيه بركة جدات الكنائس، قال من كان يترجم لهم طوال الرحلة الشاقة ويفك ما غمض من الرموز والطلاسم.. ومعرفة أثر الأقدام التي ماتت في نهاية الأمر من شدة البرد بنفس درجة البرودة المعلنة ببلدان روسيا وشمالها المرهقة في مساعدة ومحاوله إعادة بناء هذا الهرم، ربما أبصروا طفلا ولذا بكل احزانه بعد أن كانت أمه تعشق رجالا كثيرين خفية عنه، الذين كانوا في كل مرة يستعطفها آخر ويحاول إغراءها هذا الطفل يود مداعبتهم يتحرش عليهم نهارا ويلقي عليهم رغبته بتلك الصخور الصغيرة، ثم يستميلهم و يلقي القبض عليهم من الخلف كالخراف، جلها تفرق من شتى السبل حتى من المخارج الضيقة للنجاة بنفسها كالأرنب التي تطاردها بنادق الصيادين، لذا أبي الربيع أن يتغير شكله وزهوره الى دماء أو أن يبرعم طويلا فسرعان ما تلاشى، إلا على جدرانهم النفسية وهم حالة استثنائية ما بسطت الأمور الكثير من الجالسين، هزأ منها في كل مساء أربعاء، كانوا يقولون اليوم تبدأ الجدة في نهاية الحكي على الرغم من الزمن الذي تغيرت فيه كل معطياته على هامش فصل الربيع، فحتى بيان لجنة الحكماء لم يشيروا أنها مصابة بجمهرة من الجان. لم تكتمل الجدة قص حكاية زمن الشتاء و هي توزع القدرة الشاقة في النطق والبرد، شعروا بالتبول فلم يستطيعوا حتى فتح أزرار سراويلهم من قسوته الجامدة أزداد ركام الثلج بياضا فوق الأسطح وهي تتحدث حول قصة شارلكان. كانت مرة تقص و

مرة تناجى نجوم السماء التي توشك على السقوط وأمواج القوارب المتدافعة بعيدا ضمن كآبة أخرى ، هي ليست عرافة، ومع ذلك اتهمت بالجنون المخجل، لأنها بدأت تمتحن ذاكراتها بعد غيبوبة كبيرة دامت خمسة قرون كاملة، ففاتها العديد من الأحداث.. فلما أستفاقت وجدت نفسها خارج الكرة الأرضية وترتجف كغزالة هرمة وجدتها نفسها فجأة وسط غوغاء من الذئاب، استفاقت وهي يتجمهر حولها أناس مصابين بصم، الدنيا تتقدم وتتكشف عن عورتها أمامها كالشمس و لكنها تداعب بعينها المطر كلما انقشع سيف ليضيء على الآخرين أثار اللصوص و الأعداء، كانت الأمطار تن تحت هطولات الماء وفي كل لحظة كانت تتوقف لتتنقل أخبار عاجلة واحتجاجات بالطريقة التي أحست بها بين العالمين و تريد أن تشعر بها الألاف من المستمعين أما يروى لهم هي من صلاحيات الرواي وليس التوثيق والتاريخ وهي تواصل في سرد أحداث مستحيلة أستنفرت كل الحكايات الجبلية حتى لا يستقر أحد منهم على حقيقة ما جرى، أغلقوا ساسة أوربا كل الطرق والمنافذ لم يتركوا الا منفذا واحدا لمقاربة كل أسرار رمشات العيون وتحركات الأجواء السكانية وأن لا يسألوا أحدا حول لماذا حفرت قبرها بنفسها ولو كانت سطوته تروق مزاجهم في ميادين الوشاية، جاءت القردة، تقدموا نحو باب الواد، فتح على مصراعيه تتوازي دفتيه تلعثم الجندي الذي أكله العياء من شدة الانتظار، ضغط على الزر بجانبه فاختلفت أبواب من زجاج، انهبرت القنافذ بما ترى ودت تقليد الحالة فأصطدمت بالأبواب الزجاجية وهي تعاود انغلاقها موصدة قابضة على جزء من أشواكها، اما أن يواصلوا حركتهم مع القردة واما أن يختلفوا جميعا ظهرت من خلفها صورة أسطورية شحت ملامحها كمومس فاتها الزمن ، ثم أزيحت منافذ فلادية، فظهرت المليشيات خال لهم أن المعركة قائمة لا محالة و النصر حليف تيمورلينك، مات الجيش وألقى القبض على الحاكم

بايزيد ادخل القفص و أخذه معه تيمورلنك حتى توفي أنسحب بسرعة ثم تقدم الجندي نحو الأشخاص وفي يده عدد الأموات عظاما، أمدوه برسالة قبل أن يموت محتواها بأيديهم هم كذلك، كان كلهم يتمنوا أن لا يصلوا الى نهاية الحكاية بدأوا يمدون لها حنينا أبديا، الممرات مملوءة بالجثث المنتفخة سماتها تشبه ملامح العرب، ببرودة أعصاب باردة، توحى بأن الأعداء هم الأكثر ولم يستطيعوا فصل قلوبهم عن أجسادهم، بدأو اللحظة يرفضون كل الطلبات أو أي انطباع آخر، و لو كان على حساب الأساطير الخرافية العتيقة نشبت مدن التمرد سقط الأول وفر الثاني وأندثر الثالث تصدرت الخرافة ورحل جل حافضي الأغاني الشعبية والأشعار المزعجة، مثل نزار ومحمود درويش وأحمد مطر ورحل جزءا هام من المخطوط الأندلسي وفيه موالين و مجنون الرواة الأوحدهم الغرناطي حتى اختفى معظم تراث العرب مع نهاية الغضب، فاضت الذاكرة بخرافات لاتستبعد أحاديث حول كهاف الجن تحت البحار العميقة، خصوصا عندما تسقط الجدران دفعة واحدة خارج اطار الرؤى، وتتهك الأقوام مشيا من كثرة الحمل الذي تغير شكله طوال رحلته الجافة، مع جف ورق الأشجار والتين وموتهم تحت أسوار مدينتنا المرصعة نجما والمرصعة جدرانها والمغطاة بورق التين الكبيرة. وقد علموا أطفال المورسكين وهم في فصلهم الثالث للدراسة من أن وما آفة الأخبار والسير الا روايتها وحكايتها.

- و لن يتم القبض عليهم بمجرد اعطاء الخبر الحقيقي لأثرهم رغم تأخرهم في العدو والجري خلف المتظاهرين تموه هو مع دابته كل شيء تحول الى غموض أختلط مع الحرس ،والى قوة خارقة يكتنفها الكثير من الجنون، ثم إلى كلاب مسعورة، يملأ لعابها كل الطرقات بكثافة الماء المنزلق من أفواها الحمراء، وهي تملأ الطريق حتى نهايته المطل على السفن والبحر الأزرق، فلن يظفروا

بالحقيقة .كان يعرف البحارة أن هذه الهاوية ابتلعت الكثير من الوارقين وهي بها العديد من البشر بعد تعذيبهم ثلاث ليال على التوالي وفي اليوم الموالي يصبح أربعة أيام في نظر عامة عابري هذا الممر أو ممر خاص ترمى فيه الرؤوس الخطيرة التي تحولت الى جماجم من العظام.ألتقطوا خراطيش الرصاص الفارغة، تتسلى بها صغار القطط لمدة سنة ودقيقة، وراحوا يستفزون بها المارة وذلك لقتلها في وجه القردة والحث على تكسير شوكتهم،أختبؤا في الجهة الشمالية الغربية، أغلقوا الممر الكبير بالخشب والحجارة و اقتحموا السوق الشعبية يتدافعون بثقة كبيرة على عربات تجرها جياد غير قارة الحركة، و راحت أحذيتهم الغليظة واجدة مرتعا على أجساد محمومة وتضرب طاولات الباعة والبول و تدهس على الخضر و الفواكه في صمت كبير..حبست عامة الناس صراخاتها داخل صدورها بداية لزمان آخر، خرج العبد اليهودي من ظله وهو يجلد أفكاره من نزوة نرجسيته المريضة بعد أن عثر على أول جثة يهيكلها حفرت قبرها بنفسها بالمرّة، وكأن جمجمتها كانت تصرخ فهي تعب من شدة التعذيب والبحث عن الأماكن الآمنة، كل الأشياء التي حدثت بالمدن هو أن المداخل كانت مفتوحة منذ بداية أول ليلة والمخارج مقفلة كقاعدة خاصة في الوجود واذا رآوه مدبرا وقد كان من السهل أن يعيد لهما العفريت خصوبتهما الجنسية وعلى كل باب يهوديان من يهود الفلاشة السود وكلاهما يعانيان من عقم قديم أوهمهما أن وجودهما لأجل حماية بوابة المدينة الرئيسية من اللصوص الجان ذي الجنس اليهودي،الذي خطف أحلام الرعية في يومه العاصف و أثاروا الهلع و الفزع بخشونة كبيرة وكأنهم يبحثون عن أشياء مهمة فقدوها ومستعد لفعل أي شيء، أن المجانين عصبوا عيونهم لأكثر من تسع مئة سنة، ثم أستيقظنا معهم على حرارة جنسية لامثيل لها، كانت نفوسهم متواطئة مع الرجال الكذابين الذين رفض لهم الفقهاء حفر

قبورهم بأنفسهم، الذين سلموا التقارير السرية عن المدن المجاورة للأسواق العربية،. قيل الذي أغلق عيناي قبل اقتحامهم أخبار السوق وزواياه، هو الضابط المتقاعد الأعرج الذي هلك قرده لقدم الأعداء وحلق دقنه استسلاما لهم و فتحت النوافذ الخشبية و ظل جميع السكان يسترقون الرؤية مثل الكائنات الحية من فوق سطوحهم بدورها القديمة، لمدى القرون التي تحولت فجأة الى حروب ضارية كل سوط يزن أرطالا، انفجار أنابيب المياه المتجهة الى المداشر الجبلية، فرحلت معها بعض القبور الهشة، بأكفانها خرقوا سكان المدينة الغريب الذي كان ممكنا أن يتحول الى انقلاب خطير، هدموا البيوت فوق رؤوسهم بعد قرنين من زمن الشيطان، بدوا يستيقظوا من تحت ركام التراب بأنوف تحمل مناقير خشبية، ثم يبدؤون في مداعبة بعضهم البعض الى أن تحولت التسلية الى معركة انتقامية. فرالعفاريت وعلى صدورهم ألواح صغيرة مثل علامات يهود التوشابيم، كإشارة مميزة للحراس الملائكة بالسماء الثالثة، أما الموالون لها خمسة، ثم عمدوا على جلد بأسواطهم العصبية كل ذي كرامة و عنيد قد يقف أمامهم، نزل شخص متخوم بالحماقة ومستعد لفعل أي شيء، يشبه أندريا دوريا لما نزل بشرشال لحظة واحدة و هو يتوجه إلى الزنانات بحثا عن الأسرى وصل ابليس قبلهم وصل ركعتين أي ركعات العصيان للرب، أزاحوا الصناديق المترامية ملطخة بدهس الخضر والبصل ومحملة بالأتربة السوداء، فكشفوا على البواب بنفسه القلقة صانعا لنفسه ظلاما غيايبا مختفيا لوحده تحت ركام الأوساخ و أوراق الشلطة ، تساوى ابليس مع الشيطان في ذات الحال بعد مرور سنة. سافر زورق في قاع البحر هاجت الشياطين قيل هي شياطين البحر البري،، تظهر شرارتها الكهربائية دوما على سطح البحر، لبثوا يوما كاملا وهم ينظرون اليه عرضوه فوق الحجارة ليتعرض لأية ضربة شمس آتية لامحالة، تعجبت الجازية وفي

نفس الوقت أغتاض العبيد وبات كل واحد منهم بجانب قبر تخرج منه الحشرات فحضرُوا في الصباح عند مخرج زاوية المتبرك به، فغص بهم المكان ولم يكن لهم لامل ولاحظ من الجمال، فجاء مقدم الضريح فضرب اعناقهم حتى لايتدخلوا في ما لايتسع له شأنهم، كان هو من جانب آخر بصمته المختومة على جبهته، ففي هويته السحيقة بينهم، أغلقوا عينيه بمعية الغلام، أرادوا القردة التدخل ومعرفة ما يجري بشأن المظاهرات السلمية، تصلب موقفه، وأوهموا، المحمول بأنه داخل هوة كبيرة مؤججة، بالنيران مسكوه بصحبة أنفاسه، كالقط ابتسم عليه القرد، ثم ضربوه على الرأس وهو مسجي، أستعصى عليه استرجاع حتى صوره البسيطة، تألم كثيرا ثم أشبعوا مؤخرته بالركل، و البصاق انطلاقا من هذه اللحظة الأليمة الخرقاء كقمصان أجدادهم البالية، ولعنوا جميع الأصوات التي كانت تردد تلك الشعارات التي فاتها الزمن، أغتالوا أرقاما ضخمة من الشبان والأطفال، وقتلوا ربعمهم ، ثم أكدوا على أكثر من هذا على أن الموت قدر وأنه الكل سيشارك في حل الأزمة، أعادوك الى رشكك القريب بحجة واهية تقبع في نفوس نساءهم، ينذر ببدء التحول الحكائي من زمن الليل الى زمن النهار ومن زمن القرن الى زمن السنة، على أن تستدعي ذاكرتك بالمرّة، وتعيد سرد الأحداث من حيث أنتهت لحظة الخصوم في نزاعاتهم مع الأعداء، وهم يعلمون أن كل شيء تحول الى ضبابية كبيرة ازدادت القتلى و ركام العظام الأدمية، عفو عنك للمرة الألف، حتى غدوت تركض في البطحاء كغزالة تحنو لبداية الربيع الحتمي لتكبير الحكاية قبل أن تصغر وتندثر ويصبح كل شيء في حجم فضلات الذباب التي أزعجت الجان اليميني ولكن طرقت مطرقتها، أنت كما أنت و الزمن لم يتغير في غفلة منك حيث اختراق الهواء والمواعيد، تشيء لك العديد من المفاجات، في آخر الليل الوحشي، تذاكر العبد اليهودي مع الموريسكي اليوم الذي فشلوا فيه على اجبار هذا الموريسكي

في تغيير بداية الحكاية بفعل وجود الأثني داخل مسرد السيرة. بدأ يسيطر على الخط حتى وصوله الجدران التي قفز منها وتيا به ملاً بالأتربة التي يصنع منها الزليج والرخام.. كانت ذاته ميتة متداخلة مع أرواح شهداء آخرين منذ زمان تعبر مرورا على الأحياء في غفلة منهم، و تعدهم قبل أن يتحرك مكان النجم الحثيثة الذي اهتديت به نحو قلب عيالك، خرجت الجازية وتركتك أنت و قرينك و أحلامك الحارقة التي ادعتها في يوم ما، بأصابع بريئة داخل مرفأ الطفولة البعيدة عن خيوط العنكبوت العائدة مرة أخرى، لجبال الجن وبؤر الظلام المتواجدة في ميدان التحرير ازدادت اصوات المتظاهرين بدأت دائرة الشمس ستغير ألوانها المنتشرة فوق غلاف.. ذاكرتك المتخن جراء السقوط الحر، فلم يستطيع القرد تشويه مسيرة الزمن العربي حتى قرأت بنفسك أن انطلق خير الدين من عنابة بلدتك الوديعة أخذ دعما من حسن آغا ثم بنزرت برا نحو حلق الوادي بحرا وقف على حيطان مدينة تونس في اليوم الموالي استكمل كبير القردة رسالته ثم قالت الجازية لقد فتح لها أبوابها ملايين العيون ظلت تتابع ما يجرى ، طرق أبواب العرب كلهم مجاري العرب مفتوحة على مصرعها، يبدو اللحظة أن شيخا يود عبور الطريق المكشوف بسرعة البرق حتى لاتصيبه أية رصاصة قناص نحورأسه المخرف تظاهروا بمختلف الزوايا والشوارع ، فجأة يمر سريعا ويترك احدى فردة حذاءه وراءه أحضن فر لحظتها السلطان الحسن بن محمد إلى اسبانيا كعميل لدى شارلكان... ياه القرد يقوس أصبعه تجاه السلطان.. أقدموا بك الى فضاء رحب، نحو حدود البحر المريض والتعب المضني، تسألوا وكشفوا لك أثارا أقدام هاربة لم تبين هويتها ولا أحد عرف سرها، أبتلعت بطاقتها الشخصية تضاربت حول الاتجاهات الكثيرة وملايين اللافتات المزخرفة بالخطوط والألوان الحافة آتته من مختلف المحافظات أتسعت الاحتجاجات بشرايين خوفك، ظل العبد

يصلب المشاعر الأكثر تعقيدا الواحد منا غدا يشك حتى في أقدامه، وكذب ذلك الغراب، وأن الأثار العربية المهرية خارج الوطن قضية مفتعلة جدا، لكن الظلمة كانت تزيد من دهس العربات للأثار لم نستطيع حصرها بالكامل وهي متقطعة بين الرمال وأصحابها غير متعبين ولا يحملون، أي أسرار في هذا المكان القفر من لم ينام البتة، وأعتقد بعد ستة أشهر مع الخرقه أنه نام طويلا، ثم وضعوا على عينيك شبه خرقه كعصابة سوداء لا لشيء سوى لأن بذاكرتك نجوم البرق التي بدأت تحترق أمام طيوف الشمس. سجل السنين الذي لا يمحي أبدا و على وجهك مآرب أخرى نحو أخاديك الصحراء القاحلة، توقف الحملة وتغيرت و لغتهم الساحرة توقظ عرائس البحر النائمة بسكوتك وتعذبك نظرات المدينة المتعبة في برودها ليلا. فهلا غازلت ذات يوم رؤوس نهدين زوجته رغم تسلطه على الأصوات والشهداء الذين تساقطوا كوسخ الذباب اليابس. لقد جاءت الجازية في أحلك الظروف القاسية حقا، فوضعت طفلا حكم بعدها لمدة مائة قرن و صاحبتهما تحاول خسف بك الأرض لتفصل بينكما، ربما ستكون اللحظة القاتلة على أمواج الشط للبحر الأبيض المتوسط إن أعدت المرة بعد الأخرى الحديث عن ابن الزانية لكن اللحظة التي نقلتها من كتاب الخرافة، حيث أستقرت على خطوط عديدة من الأسطرتدرت على المحو والغياب على دفاتر الزمن العربي.. وأن الليلة المائة الألف، لم تنهر فيها الجازية كثيرا لأنها لم تحو على جديد يذكر مع بقية الليالي الأولى، لقد أصبح بإمكانك تحديد سمات روائع العديد من الأشكال، قد تنتابك أصوات العبيد السود الطاويلي القامة، حيث كانت العربية تظهر تحتهم صغيرة جدا جدا، مع بعض البياض الذي ميزهم من أسنانهم كبشر، و العفريت يراقب تحركاتهم سريرا وتكاد أن تتلاشى بين سائر الطرقات القديمة لولا علبة الضؤ المنتصبة فوقها اذا لو لم يتوقف الحكي أبدا على مدار الزمن

بعيدا عن مستمعي ذلك العصر، الذين شاهدوا مسار الأحداث .دق الغلام جرس ضخّم تنقله سلسلة كبيرة الحلقات، فتحوا الباب الأول عبقت منه رائحة الدم والتعذيب ،ثورة مشاعر جياشة لاتتعدى أغصانها خوفا من بطش القردة المجنونة المستعدة في كل لحظة الى سحق الملايين من البشر و في نفس المكان المخيف، أي الأكثر ترهيبا مع نفسية أمكنة لم تقو على مقاومة أضعف الأشياء، تقدمت العربات حتى أوقفها حاجز مغروس على الأرض سلموك إلى عبيد سود آخرين مفتولي العضلات، تنضح أجسامهم بزيت براق ورائحة دكنة فعوض أن ينتظروا أن يدخلوا من باب البحرية أبواب الجزيرة ،تقدموا من باب مجهول لا يعرفه أحد سواهم، له مخرجا واحدا من نفق البحر نحو جدران عالية وساحات هاوية بها حشود كبيرة من الجان، يبعثون أهازيج مختلطة بالصراخ وأصوات النجدة لكن الاحتجاجات الشعبية ويبدو أنها تعيد الكرة للنجوة من أمر هالك، هو الأكثر طغيانا على الحالة، من تلوى أعناق كبراؤهم وترمى داخل أكياس من شطي الأوساخ الخفيفة جدا مربوطة بخيوط رقيقة كل الرقة لكنها في غاية المتانة، استرجعوا الخطى من حيث أتوا بك يتذكر شيئا مهما، حتى وصلوا أرصفة كبيرة بنية داكنة .. كان به قردة يلعبون فوق خشبة مستطيلة كثيرة الثغور لاشيء تغير في حلم الرؤيا الغاضبة كل ما رآه حدث كما توقعته كتبة الصراط، أهتزت الألواح وسقطت قطرات المداد متسابقة فوق الأكفان كل ما دون تحول الى مجرد مخطوط تعلقت به جاريات الجان تلتهم حروفه السرية كالجديان العطشى، أوقفك جندي أسمر اللون كبير الوجنتين لما قرأ على جبهتك آخر توقيعه للعمر الفاني والموت يقارع ذاتك لامحالة، تشكلت لجان غير عادلة واحدة للمتظاهرين، وواحدة الموت وأخرى تطالب، باسقاط الجازية عوض سادتها أو ما تنكت به الأطفال وهم على طاولات الدرس والتحصيل، تاهوا بك

الحرس كريشة تعبت بها أدراج الرياح داخل صحون دائرية و مكعبة، تبرق أسقفها بالأضواء من الذهب و المرجان و صدف البحرو مع ذلك أخبروك بأن لن تفقد أم عينيك هناك ولاشيء يعكر عليك صفو الرؤية....و لن تنطق صوت كلاهم بعد الآن....التي شهدت سادتهم الأوربيون يتجولون معهم بكمامات على أفواههم وماء لعابهم يتسلل كالعرق مع فجوات أحزمها الجلدية وهي في كابوس مرير وشرس مع المرأة التي خدعت أحد المدن، التي هتفت فرحا، وهي تنتظره على مداخلها الكبرى طيلة القرنين على قدومه، لكن صبيائها اغتاضت لما علمت أنه على بغلة بطيئة الحركة فقط.. لكن كانوا هؤلاء يتحركون داخل المدينة باحكام وعلى أروقة الأسواق الأسبوعية مندفعة من كل الاتجاهات لكنها أقسمت بأن لا يكون بثها بواسطة مجهولة الا وبها المباشر مع ذاتها خوفا من اقتطاع لسانها أو تموت عطشا وهي تواجه مصير واحد هو اقتناعها بتصديق كذبتها والحديث مع نفسها على لمعان الدينار كالمراة، والتأهب لنسج آفات من الأخبار قبل تمرغ جسدها برماد الرواة. ثقل الحمل عبثا على العبيد السود كالآمات الغامضة، شعروا بكدر العياء تتسلق مع مفاصلهم دون سابق اندار كان الخوف يتهم صوتهم بالشك والريبة وهم يفاجئون برؤية زجاجها لأنهم أول مرة ينظرون فيه لشيء عاكس لصورهم الشبيهة بالقردة الهرمة والمليشيات الشابة..غازلني الضحك الصامت، وأنا أتذكر رقصة القرده المنفردة على منامي، كالرقص الافريقي، فجأة جحظت عينايا تدمع على شخص منزوي غريب المنظر يوحي أنه منفيًا من بلد بعيد جدا، أزعج جهات مقبته فرمته هناك، ثم ألحقت له أهله. كان يقف في الطريق المتقاطع مع شرفات العرب والعجم،، يرتدي عباءة تتراقص عليها خطوط صفراء، و على وجهه عمامة بيضاء كالطست الأبيض وهو شديد البياض كالضوء صرخ كمن يتردد على صداه بوق بلاستيكي ...اسمع! شعر العبيد بالخوف من هذا الوجه

الجميل وطلاء الأسقف الهشاء، بدأ يتفتت حجما كبيرا شيئا فشيئا، على أواني حديدية كانت مصففة حتى كادت أن تلامس السقف، و كأنما زلزالا حدث سابقا. ظل الرجل يرتجف والخيبة تأكل ظنونه بدأ له أن يزحف اليه ركعا على وجهه، حل بهم اسمع أنت أيها الأبله السذج والدرويش الفاني، مما تخشى فلن تخشى السلطان ولاتهاب الشيطان..بدأ بخار جبل الدخان يهدد كيانهم كلما ألتقوا حوله أو من أسفله.

دخل على الملك كشافا يحمل له رؤياه التي شغلته على مدى القرون، كان الصبية يحاولون مصارعة أنجم السماء ويصبون المياه العذبة على شلة من الأشجار وهم الأكثر وضوحا في اعادة بدء مسار الأحداث حتى تعيد الجماهير حول رؤية هل هذا المغطى فوق الأكتاف ومن هو بالذات ازدادت الرؤيا المملوءة بالشكوك تقول الباتول نظر اليه مرتعدا، حتى أعماه الخوف لما أستشعره بأنه تأخر كثيرا عن مواعده، سيدي ستبقى كنخلة تمر على مر العصور، و تحمل سيفك و تهيم على وجهك باحثا عن أعداء وزعوا الرعب وبدأوا يبحثون عن ذلك الزمن الضائع، وهم أنفسهم الذين زرعوا حبات المجازر الفاسدة، حيث بدأت الجازية تنشب وتشد أظافرها وسط القرى والمداشر وفي مدنك الساكنة، يقال أن شكل المخطوطات، والهيئة التي كانت عليها في ذلك العصر هي التي تركت الرؤيا الكاذبة تحافظ على مضمونها وان تغير شكلها ومبتغاها، حبس كل راو والكف عن طرح جميع الأسئلة بشتى أشكالها حتى بلغت القرن الذي أقتحمته الباتول وضرب استقرار الرؤيا والنزج بها في فلك التأويل..استدار الملك أطلال غضبه بعض الرعية من الجهة اليسارية أمر أن يسد عليهم الأبواب والنزج بهم في صناديق مقنعة والرحيل بهم الى الأماكن الخربة، فأمر بحبسهم و هو يقسم بالنجم الهاوي ركاما، الذي داعب ضوءه يوما ما، غبار المخطوطات، ثم تكسر على الصخور الصلبة

هلع أولئك العبيد السود و بالقصر الدائم أن أريهم يوما ليس كالأيام ، لحظتها ستقلم الأظافر و ستبكي السماء، كمن جسد سيبوح برسائل من الموت والدمار و تقصف الرياح ساعة البركان والحميم، فوهة البركان ترسل صهييدا ساخنا، يهدوء شخص يغالبه البرد فتنتهي أحشاءها الى بعث ذلك الهواء الساخن الأفواه، فقدت قدرتها على الكلام حتى أصبحت تفكر بطريقة أخرى بعد ما سدوا فوهات القبور الخاوية بواسطة الصخور.. حين أرى الشمس التي غابت حتى أعماق السماء السابعة احتجاجا لزلزال الذي هز المدينة ولم يسقط أوساخه وأحزانهم ويغير جلودهم الهرمة الى حدتها وقد تعبت كثيرا لأيجاد كلمة الشيطان مردومة خوفا من أفعالها القديمة السيرة مختبئة بين ذوي الشغب، لست أدري التي... ثم تلوح على طود العصاة مثلكم، و أن يسجي تحت قدمي رأس السلطان بتاجه المرصع حيث استدعي رعاياه بما فيهم بعث حتى الأموات منهم، أستوى في كلامه ثم تأمل اللحظات العسيرة التي مرت بها المظاهرات حتى ألتفوا على... و يخشى سبيلي طود الشيطان الذي لم يذكره التأويل البته ولم يبق منه الآن الا الغبار الذي يلفه

تتمتم متواطئة مع سرها الدفين بصدرها ومع واحدة من زبانية القصر قبل أن يخرج الحرف من فاهها قتيلا، خارج لعبة شفتيها اللتان تعبثا من الكلمات الصعبة النطق، وأستولى عليها الشحوب وجفاف لعابها الذي سده اليباس كمدخل جنة فاجئها الجفاف، سمعوا ذوي انفجار يظهر فار بعيدا يبدو أنه في مكان قريب من منطقة عربية ويجمع بخاره بين اللون الرمادي والأسود، دون أن يخفت جدوت عصيانهم المتبخر غضبا، ثم سرعان ما جف بين الجماهير الغاضبة ، لكن صوت ذوي انفجار آخر هز أعماق النفوس المفلوحة، لم يتوقفوا عن طرح الأسئلة الكبيرة حول العالم والنيران تتسلق جدران المنزل الهويناء، و كأن القيامة قد قامت بقوة عكسية فر منها ملائكة العذاب

ولما أشرفوا العبيد السود على أروقة طويلة تريتوا به قليلا بدأ جسده يتكرر ثقله كالقماش المشبع ماء وهو على وقع نغمات أقدامهم أزداد وزنه كأكياس الاسمنت أيضا، كمن تحول الى جثة هامدة تنقصه نخرات الدود التي قد تتحول بانعطافاتها الى قعر مجوفة، فلم تجد حفريات عفنة بداخله لكي تستقر به وتواصل انتعاشها الذي يملأ بطونها و تقضمه حتى نهاية العظم.. يبدت الأصوات ومعها الهرج في الأفواه أية حركة لم تصدر من أي درب من الدروب العربية وتنفس الحمل ساعلا سعال الغيبوبة، سعال يند بالفراغ المبتئس تساقطت السعلة الواحدة تلو الأخرى، ولم يبق سوى أثارها الفاشلة في ثقب ملابسه المصلوبة و فوقها مايزيد عن عشرة قرون. بدأت أشكال النيران التي هربت منها حمرتها فبدأت بين اللحظة والأخرى تحيل الى زرقة باردة ترقص على ظلالهم كمجرد ألوان تغزي خيالاتهم، وتشيء زاحفة على نفسية كل واحد منهم على حدة، بدأت الأصوات تتكرر ، انسحبت منهم لذة الحياة وبحزن كبير، ثم عاد الصوت الضخم مجلجلا مع التأنيب، فزعوا سوى من الألسن المصلوبة تدرجات اللون الأحمر ومن هول الوعيد، أخذ يخفت...وهو الشبيه بالسب والشم الذي نام به وهو على غيظه، لئن خاف عليه من أن يقف في سبيله أحد المعارضين الشرفاء، وقد ظنوه جسوسا لها وإذ ضربوه على صفائح الأقدام وهو يبكي شهقا حتى يدخلوه في عصر آخر غير معلوم الرقم، ومع ذلك لم يمتثلوا لغيلان النيران ، تقدم جبان بخطوتين باهتتين حافيتين، بعد أن أتلف نعليه من شدة الخوف، انحنى بنصفه المغبون ، لشركان و تعهد مع سالم بن تومي أن يدفع الجزية للأسبان متى كان حيا !! نضجت الرؤية جيدا وملأت الأضواء التي بدأت تجذب العيون الغاضبة لزوايا تنزرائحتها في النهاية بالخيانة حجمها أكثر من الوطن الجريح، جالت جل الأمكنة لتفادي أي غموض ذاتي تقترفه النفس ثم شهدوا الضياء من جديد شيء غريب

أحسست به يلح ويتكرر، يصلني دفعة واحدة أكثر من أدني ..الآن بدأ يدفعني زاحفا لرشم لساني بالملح، قبل أن أنطق وأقع في زلة سحيقة من الجحيم تحت فراغ الحروف الكبيرة الشكل والقدم واليبس والتي ما فتئت تملأ المسافات الخاوية من الغضب التي تصير أكثر جنونية من أصحابها عكس الأرض وجاذبيتها بصفة نهائية.

لمحوا لهم بألف حكاية و حكاية، التي مرت عليها المئات من القرون وفي الطريق تسألوا عن المغزى من الأضواء في ضياء النهار، كانت القردة تعبئة من أوامر الجازية واکراهات العامة فتخطت في تلك الليالي كل البيوت والأشجار وهي ترنوا في المدن وماسحي الأحذية وبائعي الحلويات والفوضى عارمة والحرق العمدي للدكاكين والخمارات ومصانع الزيوت والقمح والدقيق، وهزائم الغضب، لم تقنعنا الحكاية الأولى لما قدمته دون دليل يذكر حتى جفت الحناجر بعد المحاولات العديدة التي لم تؤد سوى للكذب العذب مثل هذا الضؤ الذي أعتقدوا أنه يناقس الشمس في ملامحه التي أفسدت الزمان والمكان. بدأت أسنانهم تصطك لوحدها متخلصة من بواقي الأطعمة، ثم تصطك وتعض على الهواء و تطحن بعضها البعض غيظا أستعطفت وجوههم وأنعقدت ألسنتهم في الوقت الحالي، ثم تبدلت سحنات ملامحهم، فأحالت كلها الى دمي بلاستيكية لاطعم فيها ،فحفرت فيهم المزيد من غضب الجماهير عليهم أستعطفت وجوههم أنعقدت ألسنتهم في الوقت الحالي، ثم أوقفوا عند لحظة الراحة يراوون أمكنتهم الغامضة وكأنهم ألقى عليهم القبض عبر الحدود، طل عليهم شحاذ يقرأ الأكفه ويحي الجان من مرقده والسواكن من مغاراتها، ويبعث الشهداء ليلا من آخرتهم الى دنياهم ويعدها ايها ما باعادة الموتى دون مغادرة الأجساد أرواحها، قال لهم ذلك العفريت دون أن يزعج ملائكة الجنة بنبرة خافتة ، فهل أشرف عليكم زمن الشرع الأيسر، فغدوتم تمرن فوق جسر

القنب وتبعون اهتداءً بأثر وخط النمل الذي حدث سليمان، كطفل صغير يلهو بألعابيه الصببانية، أنحرف صف آخر من النمل الذي يأخذ الا القمح الكبير فيصحح لنا بعد أسابيع الطريق الحققة. فتتغلب عليه الكبيرة كتلك المقاطع الكبيرة المسافات المتزاحمة الدروب في عقل القردة. فتزداد انغلاقا وشكاسة ويزداد هو فيزداد مددا وعددا، وقدرته على الاستمرار في العيش وحب الحياة. مثل تلك الجماهير الثائرة من داخلها رغم المخاطر التي يتعرض لها من حين لآخر. وهو يجر الحبة الكبيرة نحو... متشبكا مع أوراق الأشجار المغبرة والتي تنخر حبات الثمار لتمتص حليها بالكامل. بعد أشهر تسقط خربا يابسة على الأرض جافة الريق وكأن غيلان نسفت عليها الا على مرور القرون، لسحبها نحو الجحر ثم تعود الفئران لتتضم قشورها غصبا عنها تعيد المحاولة، ثم تفشل، لكن هذه المرة أكتفى بفتح مذاقها وهي تحس بالسعادة العظيمة لكنه في النهاية يرضخ لقدره المحتوم، على حسابه في لحظة الرحيل. بدأ للجازية وقتها أن المقابر المحروقة دون أن تستئذن أمواتها القدامى، الذين غطى نبات الصنوبر ركامها و رخماتها البيضاء والمغطاة حافاتها بكومات من الثلج لتوهم بشكلها الاسلامي التاريخ. وكأنها ليست لليهود ولكن للأسف، أنتم مأمورون أيها الخدم على قدر درجات نياتكم ومستواكم اللوني. هذا اللون الذي هو سبب استفزاز حياتكم اليومية فلأول مرة بدأ يشعر فيها الغلام بعطفه على أبي ذر الغفاري، بعد أن كان ينال منه شتى أنواع الشتم والسباب هي ليست لحظة غياب وانما لحظة بكاء فوق الرمال الساخنة ودون دموع. استغرق الغراب في استيقاظ مخيلته وينقب في مزابل التاريخ الغابر هل أبي ذر الغفاري وفضحيته السرمدية عناه هو كذلك أم لا؟ واصلوا على أية حال تخطوا خط النمل كان قائد الجماهير الغاضبة يستدل بخطه من رؤساء النمل، أقتفوا أثر جيوش جرارة نسلها من افريقيا لاتنكسر

شوكتها، حتى تقفوا على جبل عنتره أو عصفورة أو تلمسان أو واد الشولي و في طريقهم، كانوا يسمعون ذلك رتبوا فوضاهم و حوائجهم و عادوا لحمل الرجل تحت زلزال عمقه هوات الجدران والبيوت و سيقولون عن الرجل أولاد الحارة، لقد ازددنا عزلة عن بقية المدن الجميلة والزمن، جرد حواسنا من مشاعرنا الجياشة حتى أنغلقتنا ظلمة كتلك المغارات الدامسة. قالوا قواد النمل ما شهد مثله قط. قيل بركة الجيلاني الذي أوقدت فيه وعلى ضريحه كل الأنوار أثناء انطفاء نور الدنيا وهي التي أوقفت ذلك الزلزال الوشيك، انه يقرك السلام مع الملائكة والرسل والأنبياء، لكن غلام عربي الأصل، اعترض الحفل وأرغم الراقصات الصوفييات بحذف اسم أبي ذر الغفاري من قائمة المسلمين ورميه مكسور الشكل بحروفه داخل ورقة مكمشة لأكثر من طية على مقربة من جحري النمل، زفت بها خطوط النمل فادارت بها كل الفصول وجدوها ثقيلة مثل الحمل ومع كل بداية وفصل كانت تزداد ثقلا أيضا فتتوا جزءا منها البعيد عن الحروف والجزء الآخر، لما فتحها الغلام وجد بها أعشاش مختلفة من الطيور، طار منها سرب غير مضبوط الشكل، لحقه الغراب فلم يقتف أثره البتة... أنصت ضع اليأس جانبا و لا تبوح بالسر ليلا... حتى يتنفس الفجر محركا خياشم أنفه ببطء كبير ليعم زرقة السماء الواسعة كمنديل معقر بالبياض وضع يده على جرح صغير أقتحم الغرفة العفريت، تغيرت ألوانها جراء ريحه الصرصارة، أي بتغير ملامح السحنات التي تجاوزت كل الخرافات العربية القديمة، فأصبح القلب طيعة للذاكرة الموشومة للزقة لقد ذبحك بلسانه آخر رجل يرفض كل تمردات العرب، انحرف عن الجماهير، ثم ألتفت خلفه فلم تعجبه شكل الخط المكتوبة به تلك اللافتات الاحتجاجية، وهو يغادر الأندلس وصحاريها الواسعة دون خلاف كلامي مع أي أحد من أولئك المشاغيين، تقدم الغراب متخن بالجراح ويقفز على أرجل واحدة، نطق حينها

الغلام دون أن ينظر للغراب، سيؤمنون العبيد ومن معك ويحملونك بكل تغيراتك وأنت مصلوب على الأرض بحثا عن ما يهواه القلب و الجوارح الخمس، و قيل أن التنفس هو آخر ماتبقى له، وفي حالة النوم تتنازل كل المشاعر في غيبوبة تامة لإقناع الذات بسلامة كل ما يجري تحت شعورها لا يعدو ما تتمناه، هي مجرد أضغاث أحلام شاردة من سقف ثقب الذكرة المجوفة بأبوابها على صفحات ابن سيرين مثل ما حلمت به جماجم الثائرين، وعلى كل باب عربي بنادق صيد ولوازم توجي بقدم أصحابها المهجورين..هؤلاء النفر من النمل سلكوا نفقا مظلما، اخترقوا كل الجماجم والعظام النخرة وخرجوا من بوابات العالم الثالث، التي هي ربع الجماهير. أستقرت عيوننا على أيادي حديدية نحاسية خصيصة لطرد نحس العين وسؤ النفوس الشريرة وكيد الحاسدين بندوبها المحفرة هذه أول ليلة يتغير عليه فيها الجو الروتيني مع رائحة النيران ورائحة تلك القطط الصغيرة التي كانت تحتسي الحليب من أرصفة مقاهي، فدهستها فجأة عجالات السيارات والشاحنات التي عكست اتجاهها فرارا من رشق الحجارة التي عجت بها أيادي الأطفال والمراهقين وعفاريت ساحات الغضب، لما شعر ببعض البرودة القاتلة على الأقل، كانوا قد تجاوزوا به مداخل كبيرة، تساءل الغلام فأحدث ضجيجا من التهمك والضحك ازدادت تساؤلات عديدة تنكر لبعضهم البعض ظلوا يتحسسون سقوط حجارة صغيرة من أعالي السفوح، ربما تخرج منها النملة التي لم تكلم سليمان وهي تمسح الغبار العالق بها مع فتات من أقمشة قديمة ودمروا هويته أن أشعلوا الدخاخين حوله حتى غدا فحم اللون ،وفي الصباح الباكر أشبعوه بصاقا و يديه مشدودتين مع رجليه على خلاف جسده ورأسه، وكأنه مصطدما بسيارة ويصرخ عاليا والداء بجانبه كالشاة المذبوحة، وأثر الدموع جافة على خديه حضرت كل وزارات الانس والجن أرتبك في البدء نوابهم، ثم بدأ لهم الأمر في غاية

الصححة شد بأحبال غليظة أسفل النعش، وقعوا مرسوما، ذي أهمية منذ محنة حواء وأدم فلم يجد بدا، أن تتصارع دقائق قلبه الواحدة تلو الأخرى، وكيف يسمح ذلك من على قسماته سنزير كل ملامحه وازاحة بشرته بمجرد ملامستها للحمض المقطر، حتى ظن العامة أنه ابليس فر من تلك السارية التي كانت يود أن يقيد بها زمنيا، ولحفظ ماء الأنبياء، فبعد ساعة سيتحول لونه الى السمرة الداكنة، بفعل أشعة الشمس، طلبوا منا طمس هويته فسلبنا منه أوراقه الرسمية، ومددناهم إلى العبيد الأربعة السود حاملي النعش الذي خلق على غير البشر لكن من طين هو كذلك، سجد لربه ولم يركع حتى لا تتكسر جبهته كالفخار، تقيؤ الصورة منذ أسبوع ولا يتركوا تفاصيلها الدقيقة، الصلصالية، ركبوا حماقاتهم ساعتها مضغوفا جيدا، ثم ألقوا بها على بطنه فتاتا يتماهي مع أتربة وديدان.. حملوك من بين الباعة كالقطة الجرباء في عينيك رهب السنين وصمت القرون الخوالي، وسوسة أحد الوزيرات للجازية فأدخل السجن من قبل الغلام كعبرة لما طرد من الجنة، تحولت قطع الأوراق الى ديدان صغيرة محركة زغيبات صدره فبدأت تحاول المرة بعد الأخرى، ثقب قفص صدره بحثا عن شرايين قلبه، عاد الغلام ومعه مساعديه أفسد عليهم عبادتهم للرب، وسجودهم لإبليس، توقفوا عند مدخل المدينة المسيجة وطلبوا مني الاعتدال في جلستي لم أستطيع طوال السنة، كانوا يجرون في طريقهم ملابس التي مسحت في طريقهم كل أتربة الطرق وجمعت ما يمكن جمعه من الأوساخ، لكن الأتربة كانت مختلطة بدماء القتلى، رفضوا الملائكة دخلوا رياحين الجنة وهم أنفسهم الذين تجادلوا مع ابليس تسع أسابيع والأسبوع الذي توقفوا فيه به عشرة أيام الواحدة لاتشبه الأخرى، وجدت نفسي مواجهة لافتة بها بيانا هاما، والجلسة قد أنهت دون أن أعلم يوجهوا لك، أي تهمة ظلماحملق فيك القضية طويلا، ثم نزعوا جلابيهم السود

منسجمين الواحد تلو الآخر، أعلمه رسمياً بأنه سفك من الدماء حتى سوى دماء الضحايا مع سطح النهر، بعد أن أجلوا قضيتك الى أن يتأكدوا من الساعة والدقيقة والثانية التي ألقى فيها القبض، عليك.. وأنت معها بين حقول الجنة ولا ألوان ملابسي التي كنت ترتديها بعد أن ضبطوك عارياً، كفرخ الطير تحت عش نخيل، ترتجف برداً وجوعاً والعفريت ينتشل جنودك وفرسانهم من عرجه الطين ولما تستيقظ تجد الا جراء كلبة تشتم فيك، من الأصابع حتى أخمص قدميك والملابس ملقاة بجانبك الآن، أنت تمر على ذاكرتك صور وأشرطة لاتعرف في الواقع مصدرها جمعت كل الألوان والأشكال وفي النهاية لم تجادل الفكرة متوجهة صوب المجهول، بدأت الجراء تقلدك وهي تستلقي على ظهورها وأفواها مفتوحة باتجاه السماء المنكسرة الزرقة، ثم انكشمت مقلدة ذلك القنفذ البري وأنت واحد من الذين يبوحون لأنفسهم دائرة الاستمرار في الدوران على رحي الموت و العذاب، دون اكتراث بالأسئلة المتأكلة على حواشها والمقنعة لذلك وقد غطى الظلام المدينة، و كانت الأصوات يلامس صراخها كهوف الجبال نسبت الى الغرباء الموغلة في الظلمة كل شيء في هذه الدنيا، لم يكن يسير بشكل عادي، غضب القضاة يدخل فصله الشتوي والجان العفريت لم يحضرا بعد الأفلام الصور والوثائق التي وعد بها باحثي الآثار للقضاة، لئن يستندوا عليها في احكامهم. كانت الأمطار غزيرة والسماء ترتعد فرائسها كجمل يفقد أنثاه ، أول تهمة هو سوادهم العربي أغلقت جميع الأبواب فوجدوك أصداً هارب نحو... ليخرج مجلده، ثم أعود الى بقية الأرصفة الباردة، وأدس أصابعي داخل جيب سترتي مع كومة من المفاتيح التي لم تكن أكثر دفئاً من يدي، عالق بها ملقاط أظافر الذي كان في كل مرة يعضني على ابهامي ياه... تغير الزمن للحظة، الشوارع قد بدأت تعرض مفاتها بدقة شديدة، وبين كل شبر منها مسافة ألف سنة من العذاب والمشى حافياً عارياً، والنيران

تجش به من تحت أقدامه وتغلي كأول تربة يدفن بها أول قتيل لسبب ما. قالت الجازية هابيل ابن حواء يحاول أن يرفع أقدامه عالياً فيسقط على عظام مؤخرته، حتى تتبخر منها أشواطاً من الدخان المكفهر من الحمى، أو حمى الأجساد العصاة، الذين أكلتهم جهنم رافضة أية تواطاً معك، استوحش قابيل لضميره وهو يوارى وعيه بخفة الجرم ومن القارة الأخرى تظهر البوابة العربية الوحيدة لمدخله، والجماهير الغفيرة تغلي كالديدان، ويود احدهم يلتهم الآخر والشمس كالعدراء، وهي تنشر بتأسف كبير وعلى ربوع الجبال الثلجية المهيأة للذوبان، ثم الرسوب الحر كما تصلبت متجمدة من قبل، تدرث لوحدي بالغار وفانوس الضؤ بيدي ولما أخرج ألوح به لكي يراني البعيد عني أو أي تائر، البرد القارس يلفعني ومن الجهة المقابلة قرصها الأصفر ينشر خيوطه وهي تتمدد مع الثورات ومعك الزمن يشيح كالمطاط الملقى فوق لهيب النار أو حر القيلولة. بدأ في هذه اللحظة أحد اعراب بني هلال بعد أيام فقط بدون علامة رقمية وبدون هوية وهو يغلي، ثم جلس المئات مثله على حافة الطريق يمضغون الشيح ليساعدهم على تثبيت الذاكرة،، لكن الآن فقط يمكن لك أن تعرف فما عادوا إلا خونة في وضح النهار مثل القردة رفقة مجنوننا يفقه لغة المجذوبين الصوفيين مثلك الذي ربط سير اليهود بتقاليد العرب يوماً ما والعكس صحيح، هؤلاء هم من غسلت الأمطار مع الرياح الهوجاء من على أجسامهم الطويلة، خبياتهم مع كل الصيحات والهتافات، وانتشت زهور اللحظة المؤلمة، وشيدت على ملامحهم اليابسة أحزانا كشجرة الصبار التي أثقل المطر أوراقها. جاءت معلومة سريعة بغبارها الكثيف على جناح طائر، ما هو بغراب وما هو بحمامة المهم له جناحان ويطيخبخر هو بين الشؤم والفرح، وأوهموا الكل ببكاء غريب، وبتأسف جبال الدخان عليهم يومياً ما.. تسرت كل القنفاذ تحت الجبل كسلسلة حديدية لحمايته، بشوكها من التداعي ومع

ذلك ظل قلبه يزيد اخفاقا، ويشعر بخواء طوال الليلة وهو يقدم التحية لإناث القنافذ فقط دون الذكور.

- ياخو لم تنزل السماء فوق رأسك حتى تصبح تجر وراءك مخلفات العالم؟ انتصار الثورة قديما لم يحدد بعد مكانتك ومستقبلك العربي بعد، وحول الأسئلة الكبرى، لأن تتسلق أهداب عينيك والمجانين يتوسدون قطع الكرطون في أكبر شارع بالجزائر، بأوساخها المعتقة، منذ قيام الفوضى العارمة، أفلا تعتقد أن رسالة خمسين عاما هي كافية أن يحملها القنفذ لوحده فوق شوكة، أو تقف بأول بوابة على ظهر دابة، أو بأكبر شارع دون سابق انذار... أي قبل أن تدق على بابه الذهبي.. أغمي عليك طويلا، لم يعرفوا بالضبط متى حدث ذلك وفي أي عصر، لكنهم قاسوا ذلك بمولد الغراب، ربما لمدة سنة أو ثلاث سنوات كان النوم يغالب لحظة اغفاءك واغماءك، ونحن نحاول عبثا فتح عينيك بقوة للتأكد من صحوة حياتك التي تشبه الأزمة العصبية، كنت عائما سابحا وسط غيمة مفصولة عن محيطك، والغضب يسرق منك ابتسامة العمر وحتى التي حفظتها من خلال ملصقات الجدران أثناء احتفالات سقوط النظام بعظامه الوسخة خمرا، أو أيام مواسم الأعياد الوطنية ثانية، قالت الغربان أوطاننا هي فوضى من الجيفة وهي واحدة من مجازر الجثث الواحدة.. جعلت حياتهم منذ الثورة في مهب الريح، يستدرجون أحزانهم ليلا صباحا و الفرحة العارمة تعم الطابق السفلي من الشغب، خطفوك فرت كل العفاريث أحدثت غبارا يشبه الغيم، أستوحشتك بشاعتهم الأبدية وتباهى بك الجلادون ليلا على مشروبات أجنبية ناذرة، ولمدة نصف يوم كامل، قبل أن يعدوا اليك، جنن إناث العفريت، قنّعوا وجوههن بشتى الألوان وشرعن في الضحك الهستيري لكن المؤكد أن الكلاب والقطط قد أصيبت بأمراض مزمنة تسربت عدواها

للمدن القريبة، ويصاب الخونة هم كذلك، بمرض الكلب الخطير على صهد الشمس..فكروا جيدا في
اعادة ترتيب الجماهير على شاكلتهم لكن لم يستطيعوا أن ينفضون من رأسك جميع الأشكال التي
عرفتها سابقا، أحضروا أسرع وأبرق جان، أكثر حتى من سرعة الضؤ كل شيء زال من ذاكرتك ولم
يبق حائرا سوى حول قصور السلاطين، لكن قيل أنهم فروا حليقي الرؤوس عراة، نحو قوادهم
الذين بدأوا يزدادون كل يوم بعد آخر بالحقد الدفين ضدك، لما علموا بأن كتب قديمة تحفظ لك
سمن التاريخ، و جدك السابع في سفره من مكة إلى العراق دام دقيقة فقط و في غبش الليل، مع
تكذيب كل عفاريت السماء لذلك وتمنى مع ذلك أن يعيش ثانية أو بغضة طرف فقط في حياته مع
ملائكة الأرواح، وهو يطير بحصان، ذي أجنحة طويلة تستهوي المحيطات والقارات وهي كالفرشات
أشكالها متواطئة مع عدة ألوان قزحية لوقت قصير فقط وتسقط فوق أجنحتها وهي متهاكة اكرها
على السقوط، والقردة تتابع حركاتها من أسفل..، وأعيدت الرؤيا لما فقؤا خصيتيه للقضاء على
فحولته نهائيا، خرجوا من مناماتكم وهم يحملون أكثر القصص اثاره للواقع وكل من سمعه أهتز،
وأنعقد لسانه خوفا وهام على وجهه باحثا عن سفن النجاة، تكسرت المجاديف وأشترط عليهم
العفريت أن لا ينسوا ولو كلمة، تعشق مخاويف الحكاية أراد أن ينطق على الأقل كان يعي ماذا يريد
أن يقول أستصعب عليه نطق بعض الحروف الصعبة، شعر بالضيق فحمد الله على سلامة آدان
العامة عض طرف لسانه وبدأ يبصق الدم، و كان يشد على لحيته طويلا و يبدأ في الحمد لله، ثم
يستكمل حكاياه بطرافة الأقوال دائما، ذي لحية بيضاء كالحليب، كما لو كانت جدتك تقص عليك
كثيرا، بصوته المنخفض حتى لا يسمعا العسس، تلك الأيام الخوالي التي ضاعت فيها دائرة الشمس
منزلة عطشا نحو بئر لامنفا له، جاءت ثورات الغضب والرفض وغابت الشمس عن الأمكنة

الملفوفة ازدادت الشقوق سوادا لمقاومة خيوط الضؤ، من حين لآخر، كنت استرق النظر في يوم ليس كالأيام أمام القضاة، وهم يستذكرون لعبة الأسماء المشوهة الحروف والأشكال لبقية المهمين وبتريد أشعار أحمد مطر وأحيانا يتفاجون بالتشابه في الحروف وتفارق الأدمية والقصائد معا، ما زلت أرددش مع جدي حول أشعارهم لكنه سافر في نومة عمره الساكنة أستدار، ثم يرمي على وجهه غطاء أقدامه من لفحة الشمس ونصف جسده الجاف عاريا، وهو نائم على سطحه في أحد أيام الصيف، فلما جاء الصباح نام خفية عن الغلام، وهو يغطي نفسه برداء من تحت ظل الجدار المتخن طينه بقشور الرمان والعلف، كان جدي حمادي وهو يتشمس شتويا كذلك، فكان عجوزا ناقص اللحم والشحم و تشرب كثيرا من الخيبات المتكررة، عاش تحت وطأة الحروب بين البشر وملائكه الرحمان مع شهب الشياطين نزل عليه القمل والغبن و الجرب دون استثناء تقوست ظهره مبكرا من شدة السحب للمياه من بئر القرية الأوحده بواسطة دلو وحبل من جلد وبرالجمال ويتقاسمه النسوة بالتساوي وعدلا، وهو يسقي على البغل الذي يمنحه قسطا من الراحة، وقد بدأت الحشرات تعيش في نهاية المطاف على عمق غور مسمات جلده، فلما أستيقظ وجد جلده يشعر ويحس، فالفرحة لاتوصف لما تتحسس رطوبة الماء وعذوبته ، حتى يركب أقدامه العياء في تحركها بين الساعد واليد. وقف الغربان على حافة الآبار، تمتلي أفواهاها دما وقيحها، ثم تفر متقاطعة مع الجهات كالشاحنات، فظل جدي مسكين يحك ويبصر في يده مدققا عن ما ظفرت به أصابعه، سوى أثر خطوط رمادية تشيء ببشرة الجلد اليابسة المثقلة بأوساخها، أنحشرت تلك الحشرات داخل مسامات الوسخ حتى أصبحت الواحدة تلو الأخرى، تتعشق ذلك الفتات الذي بدأ يجتاحها ركاما، وهي تققات منه طوال تواجدها دون أن تجهد نفسها في امتصاص ولعق دمائها

الخاترة، ثم يحك ويحك حتى فسح جلده اليابس الذي أضحي رهيف و مجرد غطاء فوق عظامه الهشة، لكن في السنة العاشرة أكد الأطباء أنه مصاب بمرض السل، كانت العظام لحمها فوقها أزرق وبسرعة كبيرة أستخبرت بعض الحشرات الصغيرة مع اخوتها، حيث بدوا في لحس الدماء، وهناك من أطبقت عليهم أظافره حتى أختلطت مع يفه البني الوسخ، فأشار عليه قائد السود بالقربان، نعق كبير الغربان فيما فضل العفريت الحياض بل كان مشغولا بدموع الجازية المنهارة وهي تفك عقدها بأسنانها من يديها وتبكي على الرتل، فلما فرغ هذا الأخير من الضحك انزوى مع أناس غرباء يقودهم شاب أعور وهو الذي أضل سبيل أحد الغلمان لما أحتال على أبيه لأجل السفر دون أن يغضب عليه، حينها مد ابنته السابعة للذئب، بعد فهم المسألة جيدا وفتح عينيه بهدوء تام، قاوم الدمعة كصخرة سيزف المكروهة على السقوط، ثم عرضت على خديه وكأنها من فوق جبل الأمازون تجري مياهها العاصفة، وماتت باحدى الصباحات الباردة حتى وصل ريحها البحور السبعة لاشيء يدرك لحظتها سوى العزلة القاتلة والحزن الذي يعطي للدماء رائحتها القانية. واذ سمعوا دق الباب هاهو العفريت يحضر من أرض اليمن فرح الجمع لكنهم سرعان ما أغتبطوا، لما قال أنه حكى بعض الشيوخ الذين حضروا المهزلة أن السحرة لم يكونوا بمقدار قوة موسى عليه السلام الذي كلم الرب وهو في يقضته ومع ذلك تلمسوا ذكراته، فوحت لهم بجنون الأنبياء جميعهم لاوحيمهم مع أن شعوبهم كانت معهم في غاية البساطة الا نفر من قوم عيسى. توقف عن الحك ذلك المحمول، دنت منه عشر أرواح اقتحموا به المسجد بعد، وعده بأن يخرس طوال الليلة، وأن ينسي ذاكرته عمدا كل التفاصيل الدقيقة التي مرت عليه، من سنة لأخرى وأن يظل بينهم كقطة تهمل أبنائها بعد أن وعدوه بربيع لم تشهد المدينة مثيلاه ، كل شيء عاد إلى مكانه،، لتو خطى

نحو المنبر، كطفل يتمرن على المشي حليق الرأس، يشبه الى حد ما أحد صعاليك الجاهلية، خال لهم أنه طاف به كل أرجاء المعمورة، ثم صعّدوا به أول مدرج بالجنة، حيث أقرانهم كل واحد منهم وجدا نائما بقبر ما. وحيث أمدوه حملته بكوؤس من ذهب وعليها حليب يقولون أنه من صدر مريم العذراء لا يشمه الا الأنبياء الذين يحلو لهم دائما العفو عن أتباعهم، تركض القردة وتبدأ المسافة تهرب بينهم وبين السحرة نهض، شعر بالعطش المالح في جوف حلقه تحسس طفولة الدراويش اليتيمة وصبية النبوة المحفوفة بالألغام، ثم يتصارع مع ذاته داخل ذهليز نوره من أضواء تعمي الأبصار، ومعه تلك القنفاذ الصغيرة المدربة على البصق. ثم يصل الى سرداب مظلم ينتهي الى أناس مغمورين، وأجسادهم عرايا، والرماح تتدلى من خصرانهم قريبة من الأرض وكأنها على بطون أحمره قصيرة المركب تكاد أن تخذش الأرض، وصل دخل البلاد لاشيء غدا يعكر عليه قدومه كان أكثر حساسية من ذي قبل تحولت الساريات الى أشخاص انسية لاتشبهه، ربما كانت الأرض التي يحط عليها أقدامه يشك في تلغيمها بالفخاخ، لم يلتفت الى مدنها الباردة برودة وجوه أصحابها تحرك شغب آخر، دوي الرعد القاصف، من فوق قمم الجبال الشامخة العالية. التي يقال هي مقدمة أبواب من مداخل جهنم، الشعوب من تحتها من كل صوب وحذب ومن تحت الأرض تنبزع الأقسام راقصة، وسطهم، فرحا لتعديهم بالسياط والعصي الطويلة، أشعلت القردة السيجارات، فضببت الأجواء ألتمسوا منه أن يدور سبع دورات فوق الرمال، وشعل سيجارة طويلة هو أيضا، ثم يضع داخل طرابشهم ألفي دينار لإزاحة عنه فخاخ جهنم. وفلم يكن يعرف أن القطط رحيمة الى هذا الحد وتشتفي رؤيته وهي تمسح شواربها بألسنتها الحمراء فنقطة ضعفها الكبيرة أنها ألفت فئران الحي الشرسة، ألتمنن وجاءت صفوفا من القطط العذروات ولم يكن يعرف أنها مهذبة إلى هذا

الحد المبالغ فيه، تمؤ وهي جميلة ورائعة جدا، تقوس ظهورهم وتمسح بها على مقربة من عباءته في حنو دافئ رغم أنها لم تجد أصحابها منذ نصف قرن، وكبيرتهم تلتقط الأوساخ مزهوة بذيلها وتتوارى خلف المزابل والشبابيك المتضافرة حول بعضها فتأكلها الحيرة القاتلة لفراغ مقاهي المدن العربية. تصلب أمام الباب من ذلك اليوم المشؤوم، والتعب يرهق من كاهله وكأن شيئا معيناً يدفعه إلى الاستكانة للنوم، حينذاك لم يبتسم من قلبه ولم يزور مقام ابن عربي منذ اللحظات الأولى للحكاية. بكل تفاصيلها الدقيقة، فأزدحم تلك القطات عند مدخل البوابة للضريح بحثا عن صغارها، ستعود إلى طبيعتها يوما ما، مع اليوم الذي اكتشف فيه العفريت بان هذا الرجل عبقرى ومتصوف المتصوفة، شرايين دمائه تشخر شخيرا كشلالات البحار أو النهر العظيم بليبيا دفعه بقدمه يد خماسية من حديد، كانت مغروسة بين الرمال، فلم يحرك لها ساكنا، ثم وقف أمام البوابة التي كانت ملاء على مداخلها بالفطريات المتطفلة على سمك الأرض، وبعض النباتات الخضراء. كان وجهك مملوءا بالأحزان المتكسرة والذوبان والأتعاب الشاردة من حياتك الوشيكة على الموت. تقاطع على حياتك جرد وأثناء دشن القرد بعض الأماكن المظلمة الشبيهة بالمغارات، ثم طاردهم، يربوع ضخم الجثة بعثر أثارهم على الرمال فأختلف فيهم جل الصيادة وعلى مدارك الخطوط والاتجاهات العريضة والطويلة، بما فيهم تلك الآبار الجافة، لقد أهملت كل أشياءك لما رحلت عنك الأضواء أضحيت لا تساوي في نظرهم شيئا... استبدلوك بحبشية من قصور كبرى النخاسة، بقيت على الأكتاف لمدة طويلة كالحطب الفليني، بإحدى زوايا المدن الكبيرة، انتظروا بك كثيرا، لخلاف شب بينهم بالعصي والهراوة وكلاب كل فريق يدور حولهم ليتشمم عظامهم، حول امكانية سلك من هذا السبيل عوض ذلك، حتى فاحت رائحتك المميزة والكلاب تعوي فوق الشطوط الكاذبة كالميت

المنسي فوق أمواج البحار الزرقاء النائية، والعفن المخضر يلتهم أطرافه المبلولة، انتظرت واكتشفت مؤخرا هذه البوابة الاستثنائية توزعت الأنظار نحو القوافل، حتى أستحالت عليهم الرؤية بعد أن أعطت للأجساد وصايا التعذيب والخيانة المتوارثة عبر الأجيال.. شيء غريب أحسست به يلح ويتكرر كالرعد يصلني دفعة واحدة، هو الآن أكثر من أدني. بدأ يدفعني زاحفا لوشم لساني بالملح قبل أن أنطق وأقع في زلة سحيقة من الجحيم تحت فراغ من الغضب الذي صار أكثر جنونية حتى من أصحابه ذاتها، فلما وصلت أول مركز، تذكرت خيانة دول بني حفص و كذبهم العذب على شيوخ المسلمين، كتموا هذا السر كل القردة وقتلوا الحمام الزاجل الحامل للرسائل القديمة، انتظروا لمدة سنة، استلموا القبول والإذن، أشعلوا النيران على كافة الدهاليز المظلمة لاشيء فيها، أحسوا به تغير رغم السنين الا البواب الأبيكم، الذي عرف لماذا عصى ابليس ربه في السجود، لأدم والذي أيقظ أيضا في نفر من الأباليسة حركات الاشارات للتوصل معهم للضوء، الذي غز في النهاية جدرانها المتوغلة الأخاديد، ماتزال كما كانت مرسوم على جدرانها وجوه الأباء البيض وحبال الدلاء وفوق رؤوسهم مظلات كبيرة خوفا من حرارة الشمس وقد تغير وتشقق هذه الأشعة بشراتهم على التوالي. أنذاك أطنبت معها في الكلام الفارغ طوال السنة حتى أشعرت بخروجي عن الموضوع جاءت الجازية أنسحب العفريت، بدأت مسالك دمي تجرى مع تفاهة الحديث فقط، وبدأ يجف لعابي خوفا من نظراتها القاسية. نفخ الوالي في بوقه فجاء القرد على حافة البناية، يركض ويقفز فوق المدرج الزليجية، تربع تحتها وأخذ يعض مكان لسعة عقرب بقدمه، حاول أن يقلد قرد مثله مدرب على السلم، والمهرجانات والاحتفاليات الرسمية فصرخته خيوط الكهرباء، مدوا القراب الكفيف أكياسا من جلد الماعز ملاءه بالحليب الثقيل، ثم مده شيئا منه لعله يسترجع وعيه، وهو وسط ألوان

عربية تحيل رائحتها الى الجبن الأصفر.بكت الجازية هي وقدرتها ولم تشأ أن تصمت ولا أن تتوقف عليها الأمطار من الدموع ألتفت المدون فوجد الصحف تقف على إرساء الزمن التابث لمدة القرنين، وأوصت العفاريت وأولاد الزناة لما سمعوا وقع المشي على بساط الجنة، أودعت الزانية لملك المطر دينارا ذهبيا ابتسم، فأمر خدمته بسد مجاريها،،عادوا إلى تبريك جمالهم وأقدامها تغلي من شدة الحنين إلى الرحيل نحو المجهول خارج الجنة.كانت الصور تهرب منهم كالخيوط الخاطفة، لبرق النجوم بدأ في تلك اللحظة بياض ومعه سودا وبينهما بشر قصير جدا، كالدجال يوحو بلحظات الموت بالذات، كل شيء انهارا مع تلك الأفواه الصاخبة وحتى قمم الجبال غدت مثلجة كقطن ينتظر نسفه رياح باردة، تذرهما الى حيث أن ترمى خارج أسوار المدينة لكن حلقة الظلام قطران بدأ يعم كل الأضواء وحيث أنهم...و أرغموا على النوم قريبا، قيل ناموا نصف سنة في الخيلاء حتى غدوا مجرد بقايا رمال ضائعة في الحمادات، و البعض اقسام بأنهم ناموا سوى ثانية وسبع دقائق، احضروا برنوسا العفريت وظل القرد الصغير ينط بداخله كالدف، ثم كاليربوع المسدودة عليه مخارج النجاة، حتى مزق جزءا منه.فمارواه الرجال هو أن يستدلوا بما سردوه في كل الحلقات السابقة وبالبراهين، وقال العفريت هذه المرة أرسلوا الا من يطيق الانتظار ويجيد العد من الواحد الى العشرة، ولايشكك في تداخل الفصول ولايولي الولاء الا لمن صادفه في طريقه فيقبل يديه ويمسح على شيب رأسه كالكلب الطائع، وأن يرضخوا عقارب الساعة مضبوطة وسط الجمهور الغاضب حتى تعاد المتفرجة طرح الأسئلة الأكثر حساسية ودقة من ذي قبل، فلما كان الغراب يهم بنحت صور تذكارية صنمية باردة الشكل، لكل أولئك الذين سقطوا في ميدان الغضب ساد صمتا رهيبا، ألقى أحد الصحابة التابعين كلمة في الجمع الغفير، وأنذر الكل بنذرة مواد

التحنيط الخاصة بالشهداء الذين ملئت خياشم أنوفهم بنيران السلطة، أستدعوا كل الشيوخ القوي الذاكرة والحفظ ولم يتركوا حادثة الا وعلقوا عليها بما فيها علم الأعداد ومسائل السنين كان ذلك في لحظات شعبية لا توصف، من هنا تهاطلت عليهم سر الحكايات الجميلة التي لا يختلف مغزاها عن هدفها، والتي لا يختلف فيها، أكثر من اثنين مهما تنوعت أشكالها من عصر لآخر والتي لا يعرف مغزاها كذلك إلا من تابع سرد الأحداث من نقطة الصفر، كوقوفهم على انفراد في بداية اللحظة الصفرية عند أولى بوابة شمالية فبرودة الشمال قتلت كل الزواحف الصحراوية، مع هدير الموج والأنهناك رائحة الجلود العفنة لم يعد يعرف من أين هو، من جسده، ظل فكره بكل حماقة يجري مسابقا هو جسده الطفولية هربا من القتل،، دائما الأشياء الجميلة تمر مع لحظتها الجميلة بسرعة البرق قبل أن يقتحموا البلاد رؤوا الأطفال مولعين بمطاردة الكلاب والجراء الصغيرة، ومحاولة اطعامها بعظام تلك الزواحف لكن هذه الكلاب التي أصبحت تتحول من حين لآخر الى خراف صغيرة، تتحرك بين الطرقات كقطن الصوف الآن، مع آخر خيط برز لبزوغ الشمس بفعل موضع القرص أعادوا تركيب حساباتهم المريضة، لمحت من عيونهم كل شيء حتى الأزقة الضيقة التي مروا منها تضاحكوا فيما بينهم، زادت الجواري عشقا نحو ما تتلأأ به تلك العباءات الاثني عشر الجميلة للشيعنة، وأمتهم التي يتلى بها الشيطان في كل فصل وبين الفصل والفصل يبقى عاريا، هم لم يكونوا يعلمون أن الرحلة شاقة ومؤهلة للطل على كل الفرضيات، حتى على جهنم لتستزيد من تفحيم وجوههم المحروقة على صخور بوابات ملك العذاب والعقاب بباطن الأرض بدل السماء،، من الآن فصاعدا سوف يزحف العفريت على وجهه، يصل أبواب الجنة بخيط رهيف، كخيط الصراط يمر على درب أشواك طويلة الرؤوس، وأخرى تتحرك الهويناء على قدر

عقربا الزمن تدور دورة قياسية، أي دورة كاملة لكن شلت، ثم تعطلت. تقدم الزمن عليها تقديما كاملا، فظل وباء المشقة يصارع ذاته فما عادت الإبل الصبر على الجلوس وهي ترنوا خلفها بعيدا يمنة وشملة، كمن ضيع صغارها، ثم وهي تحملق في هجرة الأفاعي نحو الفيافي القفرة وكأنها تجلدها على أرجلها للسير والتقدم في المشي نحو الأمام، والقرد معهم يمحو كل أثر لهم أشار فحلهم باتجاه أماكن مهوسة، بالشوك والابارات المائية القريبة الرؤيا، التي أستكملها بنفسه ورأى عزمه الرحيل من جديد، لقد تركوا في آثارهم بعض شعيرات من ذيل البغلة فيود العثور عليه مهما كلفه الأمر.. كان كالجبل الشامخ يتحرك لوحده وهم خلفه كالجيوش الغازية للمدينة، ما أكدت للمرة الأخيرة أن أثار هؤلاء السعاة لم تمحوها الرياح أو فعل الدهر بل هناك قوة خفية تدفع بكل شيء نحو الدهشة بقوة أعماق الذاكرة الماسحة للتاريخ وأثاره، قيل أن الورقة التي وجدت مرمية بروقات اصفهان كان قد رماها أحد عفاريتها النار بدل الفردوس ويحق لكم أن تتبعوا خطاهم فلن تميزوا أي حوافر هذه؟ التي فوجئت الأرض وكأنها وافدة من قزوين أو إيران الغير خاضعة حتى للمعاينة حيث تعطيك أول انطباع بأنها مجرد طامة الثعابين. كانت قائمة الحرب في مابينها لامحالة لم تكن الأمور عادية جدا، الأفاعي الرقطاء خلفها طوال الليلة، كانت تشوه أثر أقدامها المسطحة المفلحة وتشوش على التاريخ قمة البر في جذبه واعترافه لما يود لفظ ما أبتلعه طيلة العشرة قرون في هذا المكان، وهي تحاول مواصلة اصرارها على طمس كل شيء حتى الأسئلة العادية جدا، وحتى ما بداخل جوفها من أعشاب صحراوية وهي في طريقها تستيقظ اليرابيع ومرة بعد أخرى، تسد لها ثغورها جراء الحجارة التي تتلفها بأقدامها عبثا، والقردة السوداء تزيل بعضها من الداخل اعتقدتم بئر السبع، فرت منه فراشات بعدما سحبت من تحتها آخر خيوط الطيف حينما اقتنعت بنفسها

بخلو لونها القزحي وتحويلها الى لون العبيد السود انبرتم حينما انساب خلفكم، تهالك الأصوات البعيدة ما يزال... وكأن أشخاصا يعذبون، لكن هرعتم لما وصلكم أنين سيدنا يوسف وهو طفل بض يعلومنه، خرست القردة عن اللغو واللغظ وبدأت المليشيات تسلم وتستسلم أسلحتها، لحظتها صمتم طويلا واهتديتم القرابين والعرافين والسحرة من ذرية هابيل عصاة الرب، حتى وصلتم وفتح لكم المركز الثاني، به غلام وفي الليل يتحول الى متسول عجوز نزل خدام جنية البحر من أعالي القلعة نحو المدينة التي كان يسد أبوابها أقضاب من حبال أخطبوط كبيرة فتلحق وتلتهم أي غاضب حانق وتنكمش بخيوطها على الدواب بما فيها البغال حتى تنقطع أنفاسها وتموت، انصرفتم في ظلمة الليل وراح الغلام يذوب ويذوب حتى فند كل أقاويل السحرة، بعدما وضعت الأطباق من الرمل وحببات الصخور على الرمال التي استعملها أول من تمهد للسحر كونيا أحد ذريات أحفاد هابيل، تهيأ من حين لآخر الحكواتي اتسعت الحلقة بالزندقة ومعهم القردة واليهود والمورسكين خاض البحرعدة أميال نحو الشروق حاولت الأخطبوط توقيفه فلم تفلح، ثم انتهى الى غروب غير محتمل حسب علماء الكرة الأرضية وخبراء الفلك أدركت الجازية وأدركت الملائكة أن هذه الروائح البخورية يجعل أباليس النار تستعيد قوتها شقوق الأرض ملأت رعب الهزات الكونية نظرنا الى عيون الأئمة وقد شعرنا أن كل ما حدث هو بداية أول مطلع للجازية أو هو مجرد خرافات بدون أصوات في طريقها الى الشيخوخة جامدة كعظام الشهداء المتواجدين داخل أكياس البلاستيك بأشياءها مع ذلك الحمض النووي، قال العراف سيغزو قائد الكهنة كل المعابد ويدمر كل الجسور المعلقة الواحد تلو الآخر، حتى ترمد السماء غبارها فتبدأ الخلائق الغاضبة في العدو والجري دون قرار فوق الأرض والأمكنة، مع زوجته كذلك التي تسعى، لأن تتبول على أفواهكم من فوق بناياتها

العالية المبنية أساسا لمقاومة كل طوارئ الطبيعة والحروب قال العفريت فمن حقكم أن تعرفوا والكشف عن الذي ركض على ظهوركم لفترة طويلة وأنتم على وشك الانفجار لتداعبون رؤياكم الخائبة دون هواده. ظلت الأحلام متراكمة كعلب الكرطون الفارغة التي تهجرها عواصف الرياح من زاوية لأخرى ومن مغارة لأخرى، وبقوة جنونية، وهي تودع آخر معاقل ردهات البيوت التي رميت بها، مثلها مثل مشاعر جلدك الذي أفقدوه حساسية شعوره بالأشياء جراء التعذيب على أعضاءك المفقود بعضها لكثرة الحمل، على قارعة الشمس المحرقة، والتي ادهشت عيون المساجين بغته، هي الآن خطوطها تدخل فيك كالسكين الشاحدة، وأنت تركض على ظهورهم لفترة طويلة، استعدت وعيك وأغرقت صببية الأندلس والشوارع حزنا، جراء البكاء عليك والانتحاب خلفك، ولقد سيقا إلى السجن و الأغلال تتلاعب في يده ورجليه كالأجراس المعاقاة الرنة بالوسخ. قبل عام كانت جمهرة من الجان المؤمنين ومعهم ملائكة الرحمة والسحرة الثائبين تود قصف المدينة بستين شهابا بزغ القمر أضواء على أراضي بني كنعان المتعرضة لهزة أرضية تفوق طاقتها فظلت الذئاب تهرب من رباط الأخطبوطوعوي اتجاهه بعدما قال لها بأنه به غزلان أنفلتت من فناء حديقة الجازية تطارد صفارها باحدى شوارع أحياء اليهود الميغورشين، والذئاب تتريص بها في خفاء فمن يضمن نجاتها منها. جاءت رياح هوجاء فزحفت المواجهات الطبيعية بين التلاقح النباتي وموت الثمار، فبدأت العاصفة النبوية تضرب الأحرش وتهز أفنانا الأشجار الراسية في الأرض فحركت بعض الصخور، أبانت على حيات غريبة نائمة خوفا من حبس أنفاسها، فهجرت بعض الرمال من تحتها الذهبية نحو.....! استدارت الذئاب نحو البئر ماتزال أوساخ القردة على حافته عثرت على قطعان الغنم سفكت ما سفكت توقفت اختلط عليها الأمر فساءت سبيلا لا ماء ولا شجر و لا أثر لسيدنا

يوسف مع الذئب و لا رائحة للدماء ولا منحوتات ماشيده حكام المسلمين بالأندلس من صور مجسمة عشرة أمراء لقوة الحكم وهم متكئين جنباً الى جنب على أريكة عريضة. وقفت الإبل في كل الاتجاهات بين قرطبة واشبيليا وغرناطة والاكنتاب لم يغادر شواربها قط منذ أن انطلقت من جهة مناطق آسيا لم أدر بالضبط أي جهة الطوارق أم لجهة صحاري الجنوب الغربي من المؤكد أني في اقتناعي أنها آية في الكون ربما سميح البحر ويأخذ بها نحو غرباء هم من ذوي التهريب، عبر الحدودات الشرقية مع السهب الأسود والخوف الكبير من رجال الدولة، الذين قد يختل عليهم الأمر فيقصفونهم شبهة، فأصروا على تجفيف منابع تبيض الأموال وهي تذوب أشياءها المخفية عبر ذهايز الاخفاء وابتلاع المستور. التي هي أثقل من اللحظة ذاتها..ترغي تود تحدي الرؤى ويأسها البارد، أنظمت إليها صغارها مثقلة بالحنين الى رائحة وبرها تتبول و تتخلل تحتها زاد أصحابها وطعامهم على ظهورها، وأكياس الذهب فوقها، ازداد الحر عليها عطشت، وأشعلت النيران في حناجرها كمنار الحطب الوقودة، فهامت بين الوديان تجر ورائها قسمتات المغارات الموحشة والكهوف الغائرة المداخل، نحو البئر لمدة خمس سنوات صعدت ونزلت عبر الجبال تحت وخلف الكهوف، وظلت تتحدى الصخر الصلب و الجوع و هي تجتر بلعابها وتمسح من على شفاهها مرارة نبات العلقم، وشغب القردة والملشيات الأشبال وصبرتلك المجاميع من الغوغاء أكثر حتى منها هذه الإبل وهي تتحرك في عيونها حنو العودة إلى الحنين، بدأت الذئب تشرئب برؤوسها نحو السماء التي هي مدخل صغير جدا لباب العرش، والنواهي والمحرمات الالهية، تعوي من كل ناحية ثم تسكن ملتفة حول بعضها البعض، كانوا عشرة فلما انسحب منهم واحدا ظلوا تسعة ثم أضيف لهم كبير القردة، بفضل أحد السحرة البارعين فأصبحوا عشرة، ثم تسعة يزحفون، لف النجوم الكبيرة التي

باتت تضيء على ظلام النسيان، لحظتها كان القمر يقاوم الذوبان كحبة الدواء في الماء، و يود الانزلاف والسقوط كقطعة فضية على الأرض، بعيدا عن نجوم العرش وهي، تحدث رنيننا كالدرهم يدور دورة مشلولة كاملة حولها، ثم يحدث مع رنيننا خفيفا مع ضجة في المكان خوفا من صحوة الكل ومن المجهول ولا يحدث ذلك الا في ظلمة الليلة القاسية التي تحجب معها حتى فحيح العفاريت وحتى القمر ولى على نفسه كالمصاب بالصرع الصوفي، ثم يتسلل باردا عبر فجوات الصخور على الأرض سيعم الظلام ويتهاوى القمر الفاني، قالت العرافة وما يزال تبتهج به كل الأسواق الشعبية ورواتها، ثم جاء ذلك الدرويش الغلام الجميل الوجه من غابر الزمان مسح من على ملامحه غبار الدهر الذي تجاوز المائة قرن حسب ما يقولون، وقف نزيفه تماما مع سرد ما لم يسرد بعد، فرغب العبد اليهودي في العودة الى اليمن، فدب يلتمس مؤخرة السرج، بقدمه لئن ينزل من فوق الدابة، فكان الحر فأشدد عليه العطش الليلي، فرأى بئرا فلئن حثا اليه الخطى، فظل يجتذب الماء بالحبل وان هو الا قرص القمر منعكسا على الماء فشده الدلو، بين صخرتين فأنقلب على ظهره هاويا، بداخل البئر فلما رأى القرص وهو يتوسط عنان السماء محتميا بين النجو ظن أنه فر منه ووقع ونعيق الغربان وهي تتحسر على اختفائه فجأة، وعلى عدم وجود المزيد من القتلى والمزيد من الغموض الذي لف الأبرياء وسبب اغتيالهم، زوروا مستشاري اللجنة المبعوثة كل تقارير الأنبياء أختلطت مقولات الحكماء، ثم وقفوا الخلاف الكلامي نهائيا ولجؤا الى البحث عن شهري جراح بالعرب الا وهو ابوالقاسم القرطبي جابوا جل شوارع قرطبة، وكانوا قد أخطئوا العنوان وعليه لم يجدوا بدا. حلقت الغربان عاليا فرحا خروجها عن المألوف، ثم سقطت مناقرها كالفوؤس والمناجل على رؤوس كبار ذوي الشغب، لئن تحولت الى عقارب من صنف آخر شديدة اللسع وتحول سوادها

الى ألوان مزركشة خشنة لاتبصر غير الأعداء وهي تزيد في اخفاء سحنات وجوهها وهي تسعى نحو الجواري.انطلقوا نحو فكرة واحدة حتى صار الاختلاف في ما بينهم مستحيلا،فتحوا الأبواب على مصرعها حتى تلاشت أفعالها بشكل جنوني وأمروا بقرع الأجراس لئن تصحو بعض الأشياء الأخرى بقوة..وهي قابعة فوقها كل القردة الخارجة عن قانون الغاب المشاكسة لذاتها و بإيقاظ كل الأنوار وطرد البحار بمياهها وشق الأرواح الشريرة وقلها على ظهورها حتى لا تناجي نجوم البر وكأنها اللحظة الحاسمة التي يخسر فيها المرء انسانيته وعيونه، أشعة قوية غشت أحداقهم فتسكب الضؤ الذي هو أ برق من سرعة العفريت ذاته، كانت تأتيها من جوانبها كالخيوط الطيفية،وأعمدة الخشب الهرمة قبل أن يغشي لونها شراسة النسيان الذي ملأ تقوئها الغائرة حتى غدت تسد مخارجها الحشرات التي توغلت فيها بغية السكينة، منذ اليوم السابع،تسرب خبر مقتل وتقطيع أعضاء تسعة أشخاص والبعض اثني عشرة شيعيا مجهولين الهوية والجهة،للحظة انسحبت باتجاه جوفها مضت التحقيقات خائرة دون ضجيج والرعب يأكل جروحاتها حتى اذا ما زحفوا باتجاه التواريء،مثل قشة الصوف الخفيفة،وغلق الأبواب بشكل موصل ومحكم جدا،لكن في هذه اللحظة هم كذلك مثلهم مثل هذه الحشرات والملشيات والقردة.بدأت الجدران الفارسية الرونق، تتبدل ألوانها وهي تخسر بهائها بصفة جذرية جزء بنفسجي و آخر رمادي ينشر عبر قاعة الاستقبال حين تسلل من أصغر الثقوب والمتقاطع معها ضارب إلى الأزرق البراق كجلد السمك.. أثناء اصطياده لأول مرة،حيث يختم عليه غشاء لصق لزج.أعياهم الوقوف أمام ثاني بوابة كأولئك الشهداء الذين قرب أن خاب ظنهم في الوعد الفردوس،سأتحدث مع أعالي المقام وسأتزوج مطلقا محنتكم مع ذوي الشغب،ذات المطالب المستحيلة، ضرب رجله على الأرض كالأرنب الخائف،

وأنطلق مختفياً بين الأروقة تحدى عفاريتها القرن السرميدي التي تفاوضت مع احدى جند سليمان، قيل أصبح في مقدوره تحديد كل روائح الكون التي فتح عينيه عليها أول مرة، منذ ولادته ، حيث بدأت أشعة الشمس تمسح على الجدران والأشياء كل غرائب الأشكال والأحجام المورسكية حتى تتغير الى خرابات تنظفيء معها كل بريقات الحياة يبدد كل أمل كاد الملل يرميهم مثل جثة البحر الميتة، كانوا ينتظروه مع الحمل لكن بعد الأربعة قرون الأخرى..أنهم لم يشعروا بالتعب إلا بعد أن تسربت إليهم أضواء كاشفة، فتشوهت خلايا وجوههم، لم يكونوا في الحقيقة مهيين لرؤيتها البتة ملأت خوفها على بعض الخطوط المدونة وهي شبه للمعاقين، ربما التي لم يتمكن حتى علماء الخط متى وفي، أي عصر كتبت مصلوبة على ذلك الأفق المتجاوز حيطانه كانت الصور المخطوفة تتزاحم الواحدة تلو الأخرى في ذاكرة الحمل، ودوا لو يعبروا حدودات المشاعر الست، تكاثروا مثل أشياء تمر عليها بسرعة سيارة بطريقة جنونية، أم هي مجرد حالة نفسية عابرة مسجونة داخل شعوره الحارق عن آخره، التي كانت غير مقنعة كالعادة أحسوا أن أشعة الشمس الغاضبة مثل تلك الجماهير المندس بينهم ابن الزانيات وهي تضرب سيقانهم منذ مدة، وأنها تشيء لهم بعد التوغل في المسيرة لم يتمكنوا تمييز ماكان يتبخر من جوف البحر، حيث ملأ كل بياضات الجو، تشاوروا أكثر من مرة قبل أن يغادروا المكان، قادتهم أزمتهم الى مواقع أخرى، ولأن الرؤوس كانت معلقة لأكثر من قرن، والجثث محنطة داخل ثلاجات كهربائية ملفوفة داخل أقمشه بيضاء. خرج شاب اسمر كالهنود أو يهود الفلاشة تحاشى الجدل الدائر بين الملائكة حول الغموض الذي يكتنف الحالة الصحية، للجثة التي مثل بها ليلة عاشوراء الممطرة، أمرهم بالتقدم طوال فترة من الزمن رجعت الكلاب لوحدها بعيدا عن مكان الجازية، ثم ضغطوا على الزر، تحركت الآلات الحديدية أليا عليهم

وحولهم، قفزوا بك إلى الجهة المقابلة لتجد نفسك حول جدران خطت عليها حروف فارسية ويونانية، و تدور فوق صحن يتحمل مساحة لايتعدى الجسم الواحد قط، نصفه دائري كالطبق، أغلهم أنتحر فوقها مقلدا سرعة العفريت راميا نفسه نحو الأرض ليصبح اللحظة التي يشارك فيها الأصوات بنياحاتهم. التي كانت شبه خرابالمغارة ربما هذه آخر دورة و هي الأولى، وقد تكون المائة بعد الألف، وتداخل كل الحسابات الأخرى والجازية تعيش أزمة عدم معرفة العد، أي الحسابات التي لم تكن في الحسابان ويختلط عليهم الداخل والخارج، تتراجع النفوس أسبوعا آخر تدحرجا، نحو القهقري، أي ضاقت السبل باقتحام أعمدة الأشجار المحطمة التي سدت منافذ الدروب وهي على الطرق فصارت جذوعها مثلها مثل جثث عمالقة مملوءة نخالة، فعليهم عبور هذا المكان سريعا أولا حتى لا يوشى بهم ابن الزانية وثانية، حتى لاتدركها وتنجو من ملاحقة الكلاب الضالة الغاضبة عن جل أولئك الشهداء، ريثما يتأكد بعضهم من اقتفاء الطريق الصحيح، فحتى النمل نحت على عينيه حبات صخر صغيرة فأصيب ما يشبه العمى، لكن التاريخ لايرحم أحدا في هذا الزمن، مثل عضبة كلاب مسعورة لبقة الغريزة، وفي آخر المطاف بدأت شجعانهم تتخلى عنهم رويدا رويدا، بدأت ارهاصات القامات تمر كالخيالات الشيطانية على حافة الأعين، حاولوا الركض به، كسر ابن الزانية أنوار الشوارع، ربما كانت هذه خيبة أخرى تنضاف لهم، فبدأ كل شيء صعب عليهم والقردة ترميهم بحبات البطاطيس مزحا و بعد أن دببت فيهم خيبة الأمل، وهي تضع كوؤس الفشل فوق رؤوسهم، مكسورة نهائيا، فأستحال عليها الجبر، فلم يتمكنوا من ذلك لأول مرة، داخل الأنفاق كل ما كانوا يخشونه في أن يعترض طريقهم السعاة فيحصل بينهم سؤ فهم ويفتكوه منهم عنفا، أو أن يمسه سؤ من بعض يهود الفلاشة وتقلب الأمور سافيلها على عاقلها، أو أن يفر لهم

بعد أن يركب حماقته ويستعيد أشواقه الطفولية البعيدة في داخل نفسه كالفرس الصغير، أي بعد أن يفك قيده ملك أو ابليس لم يجرب بعد كسر عصا الطاعة بقوة ساحرة. كانوا يلتفتون حوله، ويدققون فيه جيدا في سخاء ونشوة مرحلة فغدا القردة شيئا فشيئا لا يؤمنون بتقييد الحركات مهما كان الأمر ادن، فهل القيد مربوط بأحكام أم لا وهل الدم اليابس على معصميه زال أم لا ؟ أكدوا أن الرياح التي زارت المدينة أطفئت أنوارها وأسقطت أخشبتها وأعمدتها خافت الدابة الثائرة بينها وبين صاحبها و كانت تعيش الليلة أحد عشر المصادفة لثورة الغضب، تاهوا أهل القرية رعبا هم كذلك وعادت الغربان مع النساء الزانيات فهن مرقد السحر والشعبذة ومن ألقى بصبيانية آدم من درج السماء وهو يتمرن على الخطو، ليقع أرضا على ظهره أي هؤلاء النسوة اللواتي فقدن ضواحن الكبرى، وتكسير كؤوس منادمتن الذهبية والفضية والبرونزية وأباريقهم الفارسية الصنع، حتى وجدوا أنفسهم أمام بوابة الجنة مع الجماهير فنسوا خزفهم وحليهم، أصوات غير واضحة ضاقت بها الآذان، وكل شيء كان يمحو تعيهم من على ألبستهم المغبرة ويستهنون من انفسهم، باتجاه حماقة الساذجة، وهم ينظرون الى تلك الوجوه الزاحفة على جلودها من بين الممرات الضيقة ؟ وهم يقتحمون أول ردهة للجنة وكأنهم في تمثيلية ما، يترددون على خشبة الحياة، فواحد منهم يسخر من الآخر وهم يسترجعون المصاعد والمهابط من كل النواحي، كلهم بات يفقدون الثقة في أنفسهم ولم يستمدون قدرة أخرى، لتجديد نفسياتهم، على أكتافهم سيوف الخيبة الابلسية، في طريقهم توقفوا عند جوارى يبعن البيض واللحم المطهي، ويكتنزون الجنس مجانا في بعض الأحيان ولو بابتسامة عابرة تراء لهم شخص ضخم يجر عربة لوحده، ومعه بعض القنافذ تساعد من تحت عجلاتها، لحقوا به متباطئين الواحد منهم يشجع الآخر، أوقفوه

كاللصوص، فرت القنفاذ وراحت تتابع المشهد، تمت معهم قليلا، ثم ادلهم على الطريق المؤدي إلى بقية الحراس الواقع بحي الشهداء، قال ابن الزانية للجازية وهو متأكد من كلامه الموثوق:

هنا العبيد يفرحون طربا كخلية النحل الربيعية، لما تكون الجثة طازجة بيضاء عكسهم! وعاجزة عن فعل أي شيء يذكر، يفتقدون حتى رجولتهم واخلاصهم على التغيير الوشيك وتزيد اناثهم تهيجا فيجلسن أمام الجازية في حفل كبير وتظل الواحدة تأكل وتعض الأخرى وكأنها تأكل اللحم نياً، لكن العبيد السود، كانوا كلما أنهوا من مهمتهم الوعظية غادروا أهلها وأستبقوا عندهم عرائض كبيرة يحملها مائة رجل، مفادها أن كل جيل ما عليه سوى الاحسان واطعام وتسهيل مهمة الغلام وعدم ازعاج بغلته لئلا تنهار تجفل وتهرب به خارج عابري السبيل، في طريقهم أصابهم رياح جنونية هوجاء مورسكي حاملة معها بعض من شعر ذيل دابة قيل انها بغلة وديعة جدا، وأن خيبة بعيدة هتافها بدأت، تحرك أطرافها، فبدأت الرياح في الأول تصفع الأبواب على بعضها البعض قد يكون صفارا العفاريته معها. استيقظ على ضفاف قيلولة الجنة وشوارع الفردوس، فكانوا الأكثر شجاعة في مواجهة الموقف مثل تحدي الجازية للعد على الأصابع، رغم غباوتها، ثم استيقظ الكل من غفوته على سطح الأرض، حيث تسابقوا لارتداء برانسهم البلاستيكية الشفافة لم يعرفوا السر التي تحمله هذه البرانيس من أضرار، تتحول زمنيا الى أجهزة تنصت خصيصة، للأحياء والمدن الفقيرة المجللة بالبخور والشعبذة والكهانين والسحرة، في حالة، أي ثورة تخمدتها قبل الأوان لو أستفاق ساعة واحدة ولا فتحهما في نصفها العلوي على جناح العفريت، يملأ عينيه ولا عرف الحاجب الذي أغمض له عينيه، ثم ركضوا هاربين نحو أماكنهم كالتماثيل الخشبية، ماذا ستفعل في البدء. أصدروا أوامر لغلاق كل الأبواب السبعة، حتى لاتزداد الأمور الأكثر سوءا، فلما تتوقف الرياح من دشرة أهل أميديا

زوجة نبوخذنصر بعيدا عن الأندلس ومسلمي المورسكين،الذين بعثت مساجدهم وسجاداتهم،التي كان يفرشها مصليهم في المساجد وملوكهم بقصورهم الخالدة،تصمت معها أصوات الكلاب المهجورة،لما اشموا رائحته طاغية على الجو والعبيد قادمين به استاءوا من جلده كناء القمامة خوفا أن يصابوا هم كذلك،بمرض الحساسية والحكة،فتدمي أظافرهم قاطبة،هنا الساعة الحادية عشر ليلا وهم مصطفون الواحد خلف الآخر،ينتظرون عقاير تسهل لقوادهم عملية كشفهم للتحفظ منهم..فجلده كان عكسهم فارغا وحتى رثيته الحقيقية ما فتئت تندفن الهوينا خارج ذاته،التي كانت طوال طفولتها مخيفة قبل أن تتحول الى مجرد بضاعة تشم فيها كل كلاب الدوار بعض من التمرد المرعب،ولكن وهذا حسب ما أكدوا لي بعد سنة من تشذخ وانشطار هويته من أمدهم بنوع واحد من العقاير ومعهم علماء الطب والتشريح،ثم منذ سنين الدم والدمار وفي استقبالهم للحاكم برسلاتهم الشفوية،وبعضها محمولة على مناقير الغربان باردة من شدة الرياح،حتى كادت التمزق أمروا جميعنا بتغيير مكان الدخول،فضحك بعضهم حتى انقلب على ظهره وبكثافة كبيرة أمرهم بتغيير اتجاه الدخول مخالفة المشي لأثر يهود الأندلس مع الاحتفاظ بالزمن نفسه قبل يمتطي صهوة بغلته فوق الزمن نفسه، أي في فجر الصباح،ومعه الأخبار الجديدة حول فوضى المداخل وقضية العرائض الممزقة،وأن يعيدوا الخروج والدخول من الزقاق الضيق نفسه والاستفسار عن سر اختفاء أو اغتيال المائة رجل وهم لايفقهون من أمرهم شيئا،وسبب حتفهم،بالكامل.درب الزناة وعلى أية حال هو أول من تلقى تصفية كبيرة وتطهيراً في بداية الغضب خطأ،وهو الآن بوابة كبيرة المداخل فأصبح يطلق عليها أهل الدوار بالزقاق الضيق عكسا لها وأن يلقوا به في البحر دونما تردد،تأهب حراس الأروقة المظلمة،فباتت أعينهم ملتصقة

بنوافذ النجاة و ترمق من بعيد العبيد السود الآتون على متن الزورق المحفورة الجوانب، والمرقع بقطع من الأخشاب العتيقة وبعض الخرق القماشية، قيل أنها كانت مرمية منذ قرن العرائض، تزاومت الصور لم تكن تعني شيئاً فقد ضاعت بين كل خرافات و توقعات الرؤية كل شيء ظل خارج الدائرة، الا العفريت والقنافذ وجزء من أهل القرية، أقسم بان ذلك مجرد قملة، تتدحرج مع حبة قمح بيضاء، وجزء من الغلمان، جزموا بأنهم مجرد خدم فرحون على غرار القردة لاستعادة يعقوب عليه السلام لبصره، لما ألقى عليه ابنه يوسف قميصه وفارحون أيضا بما أتت الجازية وشعورها بالتعالي على الزيجات القريبات من النبوة، دارت عدة دورات كان الله بنفسه يترقب نهايتهم في رحلتهم هذه، دققت الذئب جيدا وخلصت الى أن المتبقي هو مجرد افتراء عليهم، وهم في لحظة اضطراب الآن حول قميص النبوة، وربما الحمل هو مجرد كذبة عذبة، وقد تكون قشة مرمية فقط، وهم يتوجون بذبيح من الغزلان فقط، زادت الشكوك المتبادلة فيما بينهم، وبعض من الجماهير، أغراهم هذا اللون الأدهم من بعيد، فاعتقدوا أن حصانين مشدودين بقيد واحد، فظلا يتمايلان يمينه ويسرة. فبعد شهر من الانحدار و الصعود، ثم مرا على رتل من الحرس يملأون الرواق يمينا و شمالا، حتى مررنا على خمسين سؤالا، كأفضل وسيلة لتردي ودحض أصداء الأكاذيب والاشاعات، ربما كان السبب الذي ترك أجوبتنا مع هدير الموج غير مقنعة لديهم بالمرّة، كل شيء مر بسرعة، فأعطى للقتلى والشهداء نكهة الانتصار، اشتبكوا مع بعضهم بعيدا عن الطرق القريبة للجسر الكبير بخناجر صغيرة وحرب كلامية، ملأت أشداقهم زبدا ونرفزة، كانت اللحظة أكثر من مهزلة كلاب، انتهت بقطع أذيالهم جراء العراك، بدت في تلك اللحظة الحارقة الأشياء التي لم تحدث، كذبنا على العقول وسلخنا المشاعر حتى عجزنا عن تغيير، أي شيء، حتى أغطية الحمل

حالت وفعل فيها الزمن فعلته عبر القرون، تواطأ القرد مع الغراب، لسبب واحد وهو أن يتقاطعا معا في فسح المجال للقطط وهي تغزو الأماكن الأولى للمدينة، وامتزج ذلك بكثرة حماقاتهم الصغيرة على الأقل ظاهريا، كلاهما لا يفقه لغة الآخر، وألسنتهم تتمدد بكل غوايات حروفها وتمضغ مجانية الكلام حولها، فهذأت النزاعات في بعض المدن فحاول بعض اليهود الميغورشين اعادة اثاره بعض التعاويذ التي وجدت ببعض المساجد القشتالية فلم تفلح.مد واحد منهم يدهجيدا، ثم سحبا بعد أن كان قدامى رمى الحبل خلف العمود الإسمنتي الضخم و تبث عقال الزورق. ليجدوا في الصباح فضلات القطط وروث بغلة صابورة فعلا تغلق الممرات الصغيرة، بكل ثقة وعزم عدنا حملنا الحمل، تزلج بعضنا فوق الفضلات، كقشور الموز المخادعة للمشي. تقدمنا أشار لنا شخص بدين منتفخ البطن و في يده كأس نبيد يحركه بأصبعيه وكأنه يستحضر به الجان، هيا من هنا غيروا الطريق، حين شعر بأني يقظ الذاكرة وقوي الفطنة سخر منهم جميعا، ابتسم ومدني داخل كمي أحجية وتعاويذ يبتاعها باحدى أسواق غرناطة يهودي وأمه مسيحية مجهولة النسب مكتوب عليها ،، بحق الصليب وما صلب المولى قهركم وغلب،، لئن احتفظ بها طوال حياتي لأهتدي الضلال المبين وعلى مدى قروني القادمة، كانت مغلفة باحكام من جلد الفيل، يده نفسها أحسست بها جد باردة كالجثة المكتنزة بالأسرار، ظهرت أسنانه مذهبة، ثم انغلقت في غياب فمه مع يبس ملامحه كالأرض الجافة. كانوا العبيد من اليهود و المسيحيين والعرب والخونة يتحركون نحو الخشب وكان كلما اصطدمت سلاسلهم وأقدامهم بالصخور تحدث رنيننا قويا، وغير متجانس الايقاع، عبر محيطات الشوارع في ليالي الظلام الحالك وأقدامهم معصبة وملفوفة بالقماش وجراحات النزيفة محشوة بالقطن ومساحيق الأدوية والغبراء كل شيء تطور بعدما كانوا يبصقون على الجرح، ريثما يجف، ثم

يضمم بمسحوق الجبس وأنا بدوري لم أقتنع في البدء بهذه الطريقة التقليدية وهنالك أفكار كانت تجتذني وتستهوي قريحتي فهل أدق الباب، أم أعبّر هذا السبيل، فلم يحبه أحد سوى دابة العفريت وهي تقطع السماء السابعة نحو تطور شيء، واكتشاف شيئاً آخر الى حيث يقتحمون بهو الطحاطحة ويفقدون صوابهم وهم يرون القرد يبصق عليهم الماء، ويختبي من وراء الباب بما رآه بجبل الدخان، خصوصاً لما يسمع لنداءات الغراب وهي تتزاحم في ذاكرته، فقدوا فرحتهم من وراءهم ومستقبلهم من أمامهم، وبدأ يظهر لهم أن أصابع أقدامهم ملئت تراباً وصخوراً صغيرة، وألواناً بشراتها أصابها الشحب، فسمعوا آهات الجان وهي فيعصيان ملائكي من مشعوذ بدأ يفسخ جثث ذلك العبد المتهالك تحت أكوام من الملح، فكان يود استحضرها لتخريب بيوت ذوي الشغب والسواعد الحاملة للعرائض عبر القرون، أي منذ بداية آدم المليء ببداية طفولته بسماء إحدى سلالم اللوح المحفوظ، ثم ايقاعه بالأرض وبقوة كطفل لا يحسن جيداً تسلقه ولعبته، وبدأ يشعرون أنهم يخسرون أيامهم اليوم بعد الآخر، في لحظة خالية من الرجولة، خافوا كلهم من نعيق الغراب وانات القنافذ بكيدهن المبررين، أي موقف صدر أو قد يصدر من امرأة العزيز ثانية، فنزلوا من ذهولهم حتى اختفوا داخل انفسهم كالخيوط الهلامية ومع ذلك فأولئك العرب الجلف، يمارسون شغلهم الشاق بتفنن وقسوة بجانب عبث الشط، بشكل دائم وصمت كبير، يشدون المسامير بشفاههم، ثم يعمدون في حزن كبير على تثبيتها مع السعال المؤلم لصدورهم الفارغة اللحم والشحم، لكن هل رويت كل ما لا أحب اليك، تلمست الحروف كانت حزينه جدا البرد يقتحم فمي، لقد تغير الجو دون أن نتغير في قضية الحال، جراء النكت الغريبة حول جهنم وذيل الدابة الفاتن واثنى عشرة رؤيا أخرى عادية جداً، التي اجتذبتها الغلام مباشرة من فاه ذلك الجان أو هي

كمداخل داخل اضلاف الخشب الهرمة أو خواتم النبوة أو أخشاب البواخر القديمة والزوارق التي عطلت عن العمل سوادها الخرب يزداد مرة بعد أخرى، موحية على لحظات تنذر بنسيانها على حواف البحار العميقة، بعضها اندثر حتى أصبح فبعد أيام تختلف عليها الأيدي بالمزيد من الأجيال والقطع المرقعة، فبعد سنين تحولت الى سبل للدمار كطريق نحو باقي الجزر والممرات الصغيرة التعب من الأقدام المريضة، التي تفرق سبلها بين العبيد والسادة وقدرتها وعابري السبيل والمتشردين والهاربين من كيد السحرة.. رأيت بأمر عيني أشياء كثيرة، بإمكانك اسقاطها بنبيد خاص الذي يقتل الطائرات الحربية أو كالحشرات، لا أعلم المهم أني وصلت والرجفة الجنونية تدب في كامل مفاصلي، والدماء تطحن وجهي حتى قطرات العرق رغم البرودة القارسة، بدأت تتشكل متكورة على جبيني مقابض المطارق شديدة البرودة ومن تحت أصابعي، جال العفريت كل الدنيا فوجد أبوابها وبعض المداخل توحى بالجلالة العظيمة، فالأبواب كانت موصدة ويهود الفلاشة قد شاخت بلحاها البيضاء، فخطر بباله أن يصرخ و يخرج أهلها مفزوعين، لكنه تأسف الى حيث أن تذكر رواية الجازية وكيفية سقوط من عينها امرأة العزيز وهي تجيش لذتها ليوسف، وهي تقول أي الجازية ولقد أحسست أيضا بعدها بأرض الأندلس التي أصبحت اليوم شاحبة التراث والآثار، بجيث قد قاومت، ثم تراخت منكسرة كتلك الامراة، منكسرة الى قطع كالزجاجة البراقة وراء رغبتها، فقد ظل الزمن يترنح على حافة مهاوي فارغة، لاتنم عن وجهة معينة دس العبيد مطارقهم بغشاوة أستغرقت وقتا طويلا الحديدية بعد اشهر، تصرفوا بحماقة كبيرة مثل أزواج الجان الزناة حين ألقوا كرة حديدية تزن مائة كيلوغرام، اندفعت تجري غير قادرة على التحرك من جهة واحدة، فوق الخشب وكأنها فارغة تماما من الجهة الأخرى، في صبيحة يوم السبت تغيرت

أماكن السهر بأمر من الغراب،، والسحرة وأدخلوا زينائهم مجاناً مداخل شكلها هو خاتم الطلاسم الذي كان مكتوباً على قميص سيدنا يوسف والمستعمل من قبل زليخة لجلب إليه الفتيات والعاشقات، فمسح العبد اليهودي وجهه من البصاق وهي بصقة من أحد القردة أو العفاريات لم يعرف بالضبط، ثم أشعلت الشموع والقناديل دون سابق انذار، وأحضرت ما أحضرت و معها الأشرطة المتصلة بين الشجرة والأخرى، دقت الدفوف وزبد البحر بأموج صائتة مختلطة مع أصوات المورسكين الذين ألقى بهم ذات قرن، ظلت ترتطم بالصخر بقوة، تنفت بها الأتربة وهم على ظهر دابة السماء السابعة وخشب الممر، صعد السيد والعبد كانت الجرأة كبيرة تجاه العبد، تمشوا قليلاً، انسحقت ثغرة كبيرة من الأسفل بصخرة الموج وحلت قدم السيد ونجا العبد بنفسه، انهكت عظام فكاي من شدة الضحك المضغط، ركضت ابتساماتي باتجاه ملامحي التي تجاوزت ضحك هستيري للمرة الثانية، ربما قد تكون مني رمية على انكفاء على ظهري والانخراط في مزحة التاريخ الساخرة من مجلدات الرواة التي أنتقم منها القرن الواحدة تلو الأخر رمياً بمجلداتهم، بين أسنان إحدى القوارض المجهولة والغريبة التصنيف، والتي لم تستطع الشمس تهشيشها، أنه في شوارع اشبيلية قرعت الأجراس التي كانت معلقة على الأسوار، فجهلت القدم موقع الخطى، أو المسافة بين الرجل والرجل بقوة، فغدوا يتسابقون مع أنفسهم في حيرة من أمرهم، زالت كل الأشياء من المكان فبقي العفريت منتصباً فوق ورم السطوح غيرت رؤية العين للأشياء، و كأن الخطر الوحيد قادم من الشرق الفاني ماذا لو تلمسنا خيوط الخوف التي خطت أشواق الموت التي تراكمت على المدينة في لحظة الفزع الذي ملأ الملابس الخرقية دماء، فبدأت الجان في النهوض أحدهم يساعد الآخر، ثم يسارع إلى الفرار خارج قلاع الأسوار، التي بدأ شكلها يتداعى وأبوابها

معوجة أمام غضب من أولوا لها الطاعة والجلال قديما، حيث فقدت كل ما يشدها من حديد، صخب الأبواق يملأ الأذان بما فيها الساحات العمومية التي غصت بجماهير الاحتجاجات. رغم ابطالات السحرة هذه الساحات كانت خصيصة بالاعدامات، أبواق ترعد ما بالداخل و ما وراء البنايات، وكأن زلزالا قد حل بها تكرر قرع الأجراس للمرة الثانية فأعدم من أعدم وألقيت بكتب التاريخ عرض البحار، ففرت أسراب الحمام من على الجدران محلقة بين أعالي السحاب بعيدا عن رائحة الدخاخين والعرائض، أين قفز العفريت، وظل يراقب متابعا مشاهد النيران والبراكين نحو... جنوب البطحاء أو تقف على أحبال أشرعة البواخر والسفن أين كتابعين خير الدين بربروس السلطان الغبريني أحمد قاضي كوكو ببلاد زواوة من الجهة الشرقية للعاصمة فعثروا على كيفية تقريبه منه و دون أن يفوته أمر تعيين على دولة بني زيان محمد بن علي، تزيد البحر وظل السيد يقفز فوق الخشب من حين لآخر، كأن به أفعى أو لسعة عقرب أصابته من جبل الدخان دون أن يشعر بها كم ضحكوا عليك وهم متأكدون من مصارعتك مع ذاتك، وأنت قادم على لحظة جنونية ومع رحيل الجان، الشكوك تدخلك من نوافذ رأسك كالبر، خاف أن يدفن عقب خيباته المتكررة مع هذا العبد اليهودي الأصل، وسيعود في يوم ما، الى عرشية الحكم سيوقع شهادات وفاة التاريخ قبل أن يشيخ أو يموت بين مدافع وسموم الحجاب والخيانة يقال أنه لم يعرف أين هو بين الكهنة أم الأبحار أم الأنبياء أم بين غواية الجازية، والانبياء، أكدت له حتى الكلاب والقطط أنها ستعيف طعم جلده، ظل متشبثا بأسقف الغرفة قبل أن يدمر نهائيا بعظامه بواسطة آلة الطحن للنخالة، أما باقي العبيد بشريط بما تبقى من قطع اللافتة لمتانة مادتها ويقدم لبيتاع بألاف الدورالات داخل أسواق رومانيا، ثم تعاد الى أسواق الأندلس ليستعبدهم المورسكيين دون

شفقة في دينهم، جاء اليوم الأخير وقبل بهرجة الفرحة جل القردة، فتوضع حلقات القيد على رقابهم بدل أيديهم وخرق القماش يسد عوراتهم، احتفوا رؤوسهم حالا واتركوا الجثث تنتفض لوحدها متخذة من هذه الأماكن، بؤر توتر وحركات لولبية كذيل العظاية، أما الخمسين الأخرى من الرق، فاقطعوا أيديهم على خلاف أرجلهم الملسوعة بردا و القوا بهم البحر خلف ذلك السواد الأعظم من الضباب، ليسكنوا ببطن الحيتان و الأسماك ليلا.

- ظل يمدد نفسه كالكلب الجائع هذه هي النهاية بلحظاتها القصوى يا علي؟ لقد صبرت كل هذه القرون ظل يسرع بين الرواقات قبل أن يدنوا أجله أو كأنه يسابق تلك المخططات الجهنمية في الأخير نجا من صدمات كبيرة كادت أن تؤدي بحياته زد ما عندك وأجمع ما يخفيه صدرك المتورم، و إلا متا ذليلا مهانا و معك آخر اشارة، آخر حرف يحتضر اللحظة على شفتيك من حين لآخر، كورق الأشجار. كان الصوت غليظا متكوما على باقي الأصوات الضعيفة...مألت كل شقوق جدران الأماكن متزامنا مع فرار جل الطيور من أوكارها والحشرات الطائرة في حالة استنفار والجحور المخربة لم تعد تأوي أحد، فغارت كل الجنيات على أزواج القردة قصد النيل منهم جنسيا،، فلم تفلح كانت الأصوات بينها وبين مسافات عتبات أبواب القلعة سوى مصطبات اسمنتية لزجة، تنزلق عليها أقدام المارة، لحظتها تحملت أزيز الرياح وتلك الضججات ربما أنا الوحيد هنا الذي كان يشكو من ثقل في السمع يشبه الصمم، زاد اصراري على التقاط كل حركة ولو كانت عابرة ولو كنت في خلوتي تحت جدران النجف، بقي كل شيء يذوب في عيني وجثث الشهداء يسد رؤيتي حتى أصبح مجرد خيطا خفيفا كانبلج الفجر الوشيك، ليصل الذاكرة بشرايين المحمول، هو يحس بي وأنا أحس به غافلت الدنيا وأخذت منه ببسالته، وأول مرة رأيته فيه لما كنت نائما عند أقاربي في عرس صيفيا

خال من شوشرة العفاريت ونحن مستلقين على الرمال والزغاريد لاتفرق حروفها مع الصراخ والعيول والضجيج بحيث لاتسمع الا صدى يقترب مع نباح كلاب للرعاة تضائل حاضهم ورماهم الزمن بعيدا، المهم من كل هذا أن المدينة هي على وشك الانهيار والجسور ستضحك يوما ما، على المارة مثل الغراب وهو من عل، ثم تغضب ردما حتى ركامها الاسمнти يتردد عبر أروقة طرق القلعة يملأ الأدان ومهز القهقري الفضول حتى طلوع الفجر، شعيرات غشائها الوسخة بالرمال الى الورااء وزيت المخ نهاية دموية لاشك نحن سيظهرى جلنا على نار الحطب، تأكلنا النار كالهشيم ولن ينجو سوى أماردة الجن الذين حن قليمم للشيطان قبل أن تستيقظ الدنيا والعظم الى الرياح أو يلقي علينا الرصاص، أحسست بنسمة غير عادية تكتسح عظامي من أسفل الغبار، وقف الحاجب أمهل النظر الحماريين وهما يتابعان الواحد خلف الآخر، وهو يتردد في قراره و يلتفت خلفه بين الفينة و الفينة، ثم افلت رسالته وكأنه يروي حادثة تخصه لوحده، عقارب الساعة بدأت تتغازل في ما بينها تدور على عقبيها، فتحدث رنيننا كأنما العدو أتى، وعفاريت المدينة هي في حالة سفر خارج قشتالة، احتمال وقوع انهيار الكون أوجوق الحزن سيرسل زفيره لتو، على كل شيء في المدينة أو إنذارا، لما تلقوا مسلمي الأندلس المعونة من بني مريين الموحديين، والرجال المخلصيين والجن الطائعيين وعليه حوصروا غرناطة، صاحت القردة بحياة الجواري فقط واحتلوا غرناطة فأسرع الرعب الى النفوس، فلم تستقر على السكون حتى هدأ كل شيء الا ألوان الأسوار، التي ظلت تخفي خلفها الهجرات الجماعية للنمل، أطفال ورجال، ونساء ودواب، لقد انفلت الأعداء أو كأنما هي قردة فوق الأشجار ولم يعرف لهم مغزا ولا ملامحهم كنا منكسرين الى حدود التخمة، كنا بحاجة الى شيء من الشجاعة لمواجهة، أي مكروه آخر ذات يوم تضامنا مع غضب الجماهير، جاءت إناث

القنafd بمكرهن، فأستدعت ذكورها العقارب، أبارات من قیح قیامات القرون، أول انفجار كوني كان مع بداية الخلق، شهدوا قصفا عنيفا تهلع كل شيء، والغربان تحط فوق أسلاك أعمدة الكهرياء.

- هيا كل حراس القلعة في آخر المطاف يسألون بعضهم البعض، وقرروا أن القردة والغربان ليسوا من أهل المشورة، وفي المساء ينزلون وي طرحون الخوذات بعنفوان أرضا مصحوبة، بربكة سيوفهم، ثم يعرضون رؤوسهم لحرارة الشمس، كالعشاق على ضفاف البحار، ويشرعون في مضغ الطعام نيا، دون أية مقدمة، ودون أن يرتشفون جرعات الماء. دارت الأخبار داخل القلعة بصورة مذهلة تنتقل من لسان لطرف آخر، وعلى شفاه المزايدین والثرائین لكن بعيدا عن لغة الغربان ونعيقها وفي سرية تامة، هي ذي اللحظة التي سيموت فيها ربع الرعية وعشر النفر من الجان جراء سقوط السيد نكوس الرايات ونجوة العبد في حضرة الخدم و الرعية، بدأ يفرض حساسية كبيرة اتجاه الآخرين عندما بدأ يصله لعنة السيد والبحر يكاد يسد فاه غضبا، والموت تفاجيء أكبر لحظات حياته تيقن انه بإمكانه عصي الشيطان ولا يخف مصارع السلطان و حقيقة الملك هو الملك في جميع المدن فبجانبه جناح عفريت أحمر هو من الأصهار مع خيوط النيران الأخيرة،، ويتحول كل شيء الى ضحايا كالخراف، لكن أنت المصارع لحظتك المدمر لذاتك التي تستوقد فيها مشاعرك غيابا، الأيام الفقيرة، التي تكسرت على رأسك كالكأس الفخاري لكنها لاتستطيع تغيير لونها ولا رائحة مدنها العربية القزحية اللون والشكل، كل جان علم بذلك بصق في يده ولعن ذاته على أثرياتها ولكن تغيرت رتابتها، زمنك الأغبر بمحيطة القاسي مثله مثل الرماد الذي أرغمك على هذا الحال. تقدم الغلام وضع حذاءه تحت رأسه نام، ثم استيقظ على وقع ذلك الشيخ وهو يزجر متذمرا

من ابنه، وبغلته مجهزة متاعا قصد السفر، وكان يود أن يقول، لذا فأنت فيك جبن الملايين من السلالات لا تعصي أوامره لكن بدأت الصورة تتضح شيئا فشيئا، بك تذوب الأجساد المطاطية أو هي دمي تتحرك الى أقصاها كورق الأشجار إرهابا من رقصة الرؤوس المفصولة الجسد في الليل تضحى حركاتها مثل دجاج مذبوحة، أزعجته ذبابة حين تجمهر على وسخ أدنه جحافل الناموس الطائر لما قفز به الصحن الدائري عض على أسنانه البيضاء، وظل يقضم فكه السفلي العلوي لم يجد حتى حبة يرميها بينهما ليشفي بها غليله الى أن سقط على الأرض داخل البناية الضخمة، فجأة تداعت كل قرارات العفريت على حافة الوديان تمددت الاقضاب الحديدية بفعل زيتها المشحم، ثم توقفت عن الدوران حول نفسها للتو..تبسم الغلام لوحده اشرفوا على تنزيله حملوا الحمل، ابتعدوا عن حارات اليهود الميغورشين واستكملوا مسيرتهم مشيا على الأقدام كالعادة، فتحوا عينيه وجدوا الأوعية ما تزال فيه نابضة، لم تصدق الرعية ما حدث منذ بداية القرن، توقفوا عن السير خلف كل الأفكار التي تطاردهم والخواتم السحرية التي قيل مرسومة من كتف الرسول محمد{ص} تغضب الرحمان وتأتي مع الشيطان.حطت أنفار من الغربان على البنايات العالية، وهي ترنوا من عل لتلك العقد المربوطة المرمية بالنفقات على الأرض وهي كان يستعملها سيدنا يونس كتعويدة وشعبذة حتى ينجو من باطن الحيتان أصوات الغلام ماتزال مرتفعة احتجاجا على كل ما وصله من غرائب، بيد أنهم صمتوا لما شهدوا بزاوية حادة على حافتها سلالم مطاردة غريبة وموحشة لم تألفها الا على كتب القصص وسير الحكيم من أفواه الرحالة والجدات الراحلات ظهرت له أن الرحلة غريبة جدا، تذكر أنه حين رأى الملكة غمي عليه، لمدة من الزمن حتى رشه كبير القردة بشيء من الماء، مطاردة داخل القصر كل شيء أوحى الى غرابة الأمور

وغرابة خطى الدابة عبد مسيحي أحترق جوعا بدأ ينظر يمنة ويسرة أعتقد أن الأروقة خاوية على عروشها لم يجد ما يأكل، فالتقط قطعة خبز جافة من احد الحراس و هرب لاحقوه سريعا في كل الاتجاهات تعوذ ضده، ثم قال في نفسه يا ابليس وجنودك بحق النار والنور، لكن أستدركوه، فقبضوه، سقط على فمه تكسرت أسنانه الأمامية بدأ يصرخ و هم ينهالون عليه بالهراوات الضخمة، حتى لفظ أنفاسه فلما عاينوه غاسيلي جثث الشهداء شفقوا على جثته، ثم أخذوه بجبل الدخان الواقع على قرني الفيلة المتعمم بالثعابين وتركوه مغطى بأكوام من الملح كهدية ثمينة للجازية لاترد، وعادوا حيث أتوا معذبوه..كذب العفريت كل ما حدث وعلق ذلك على بوابات المدن التي لم تبق عليها سوى أعمدة تلك العرائض الاحتجاجية قدمت فرقة أخرى تحمل بصمة الدم والرشاوي، مزقوا الملتصقات حملوه سكن على ظهورهم، ثم والقوا به عرض الحيتان، بعدما قاموا بأخر مراسيم الرمي، حيث بحر الظلام. أخرجوا الغلام ليلا على وجهه آخر الأخبار أكدت بأنه لم يمت في صقيع الغربة ولا في دفء الوطن، بل تحول إلى حية ذات سبعة رؤوس رمادية، يعي خطرها جيدا، من تشمم رائحة الأرض والتراب في أول النهار، كانت صغار القردة قد فرت عبر أنفاق مجاري القاذورات نحو جهة أخرى، وأتفقوا على أن العبد الفلاشي ماهو الا مورسكي هاشمي الأصل تحول إلى عبد اسود مطليا صمغا جزاء فعلته التي لم تفرق بين الشر والخير، لفظه البحر إلى بقية الأنهار فعثرعليه جند الأسبان وبحاراتها، فأسروه حيا مع سكان تطوان، ولم يعرفوا كيف ظل حيا إلى هذا اليوم في الليل الحالك كل شيء نام، أنتهى الصراخ وتقدمت الوجوه الغريبة بدأ الحزن يخيم على المكان وإلى حين بدأ العبد الأسود منزعجا يأسا من محاولاته البطيئة. وهو يعلم أنه خسر كل شيء حتى علاقته مع الأشياء التافهة في الإسراع بالحمل، بعدما أرادوا اغتنام

فرصة خلو المداخل المجهزة بأحدث التقنيات للتجسس على المتظاهرين العرب، فتجاوزت حتى سرعة العفاريت والملائكة الربانية انفتحت عيونهم على حدثها من شدة الفرح كفراخ صغيرة، نغزها المطر وبدأت أسنانهم الصفراء تبرق ذلك الليل وتضيء على أذياله المدلهمة. ضرب الغلام أزرارا كبيرة بعضا، فطلعت في النهاية أيد لم تصدق الرعية ما ترى، ظن اليهودي أن العفريت ابتكر ذلك لمجرد لعب بهلوانية، سلكوا مدخلين و في المدخل الثالث خسف بهم الأرض احد الحراس الذي تلبس لهم في زي واحد من الرعية المغلوب على أمرهم، ضاقت الرؤية بالجنان، فجاءت زوجة العفريت على عجل فلما سمع القرد ما قلت، تعلق بسحرة سليمان الى أن فارق شوقه سروره حتى دفع بعضهم ظنه، فعزموا على ستر عورته بقماش الجازية الحائض أول مرة إلزاما له طرد عليهم جراء الذئاب التي بدأت تتقص آثار أقدامهم قبل أن يصلوا، فروا بالحمل وأقدامهم تزفر بالدماء القانية ناحية أرض اليمن التي ظلت حبشية منذ عام 525م.

دخلوا بإحدى كهوف القلعة العالية وهي نفسها التي سكنها أهل قسنطينة قديما قبل أن تتجسر، دخلوا مختبئين وبها بعض نسل بربر قسنطينة الذين عبدوا الأفاعي والقردة والكباش ذي القرون الطويلة ليلة كاملة وهم بتلك القلعة، والحرس يبحثون عنهم كالقمل، غير العفريت ملابسه وناول العبد الأسود مفاتيح القصر وبرنوسا عربيا خشنا ومدته سرا حول قتلى ميادين الساحات العربية، امسكوا بكل العبيد بألبستها الجلدية جندوا كل شيء حتى الكهنة، أغلقوا المداخل والمخارج حتى القائد فغر فاه، فلم يجد بدا من تقبيل الأرض الباردة. رغم سطوته في القنص وفنون القتال وصيد الأسود والرجال المتمردين..أختبأ القرد داخل خزانة الجازية أسرفوا في الطل من ثقوب الكهف وكانت الكلاب تدس أنوفها في كل ثغرة تجدها مفتوحة، فلما وصلت الكهف، بدأت تفرز

أجسادهم رائحة نتنة كحالة أولى للدفاع فأختلطت رائحة المياه برائحة شراع السفن، فخالفوا الخطى الحراس فأظلمهم القرد السبل الناجية...حتى وصلت البوابة الكبرى للملك ولت الكلاب عقيبها تجر أذيال الخيبة لجهة أساطيل حديدية مستطيلة الشكل أينعت تحتها زهور غريبة وعلى حوشها أشواك غير موحزة رطبة لسقي الخيول، والحرس خلفهم بقوة عاتية تحاول اقتفاء، أي أثر تتعرف عليها.تظاهرت بعض الفتيات بالضحك وطمسوا بأصابع أرجلهم بعض السمات حتى فوجئوا بأثار أقدامهم الدفينة متقاطعة في البدء مع كل الاتجاهات وهي فارة ناحية الشمال للقلعة، لتضليل خبرات التفتيش، هذا احتمال قوى يوقظ مشاعر وحساسية تجاه فرق الجند لتوقع نصب كمين يحتضن موتهم بالجملة عبر مراسي الزوارق المعطبة متراكمة أطرافها على بعضها البعض، توحى بالتشرد والضياع كأنها شيء واحدا وعلى غربها بعيدا، مشنقة خشبية ما يزال معلقا عليها أشلاء الشهيد زبانة الذي كان يشوش على فرنسا راحتها وقف العفريت وراح يدقق أماكن مرضوضة بجسد ذلك البطل الأسطوري، فحين نجا من العقوبة الكثيرين تذكرت في هستيرية وجنون ما قالته عن نفسي التي كانت تتعب من الحبال، وأخرج القرد سيفه وضرب به مقدمة الحبل، فلم ينقطع أركب، صخرة كبيرة وتذكر صوت الجازية وزناتها أن قال لهم شخص له ملامح النبي يوسف ذات يوم، مسح خصلات شعره وأضاف،، أيها الجماعة وقبل أن يستكمل في استرسال حديثه ودوا أن يضعوا أصابعهم على آذانهم جميعا، ثم أضاف أيضا، أنا نبي الله ومن المرسلين في هذا الزمان، انتابهم الضحك، وتشابكت أيديهم وطأطؤ برؤوسهم لأخفاء سخريتهم منه، فزادوا في التأكيد من الحمل هوية، إن الرؤيا هي إشارة على انك مقدم على الموت، أتفقوا أن لا يكتثروا بالأمر شيئا وأن القرد في حالة سكر حتى الثمالة، بأمر من الملك، صدق التأويل وشنق حتى

الموت والكواسر تأكل من قشرة رأسه ما طاب لها، كل شيء ذهب ولم يبق سوى الاسم و العظم النخر والملابس التي أثقلها المطر والغبار المختلط بمسحوق عظام الشهداء، ومع ذلك أمتعضوا أضافوا إلى مفكراتهم حوادث أخرى لاتمت بصلة للموضوع اطلاقا، لأجل أمر جنسي فقط، أختلس القرد القباعة ودسها تحت صخور شط البحر وبداخلها صورة احدى الجاريات، ثم غدت لا تفتأ الأشكال تمر بأعينهم المغمضة برقا كالخيالات، لم ينسوا تلك الجماهير الغفيرة الشهيد زبانة قط... ولم ينسوا أهل المعلق وذويه ابنهم قط، أما العبيد السود، كلما توقفوا للاستراحة عزموا على أن يسموه بطلا التضحيات الجسام ومن يجد في طريقة أثر القردة يدل صاحبه عليهم لصليهم، ثم قتلهم، ما أنهم لم يروه قط، فقد تناوبوا السمع واستحضار الصورة المشابهة له تقريبا وهو على حبل المشنقة، فكل الأشكال بدت لهم كخوف مرعب، اختنقت انفسهم ضيقا من السنين التي مرت عليهم، مع اتلاف لوازمهم داخل الأتربة التي اصبحت سودوية من شدة القدم و الصدا سكت كل شيء ذات قرن، وتقدم ألف عفريت متطوع بغلق كل السبل بواسطة الصخور والأوساخ الصلبة، فتشوا عن الجازية فأشعرهم العفريت أن في حالة حيض وطمث، وهي تقبل الآن يدي الغلام الأبيض على مدخل المدينة الجديدة، أما تلاطم الأمواج فقد، بدأت تتضح شيئا فشيئا، حيث أقنعوا أنفسهم بعدم جدوى كل الممرات التي خلوا منها سابقا وأن المخارج هي نفسها المداخل مع تغيير الا في رده أبوابها العالية التي عادة ما تبدأ أشعة منها نحو الأسفل، غاب العفريت ثلاثة أيام وتيقنوا بعدم حتفه لكن يهود الأندلس ما تركوا شيئا الا وخرّبوه مع سر اختفاء الجراح القرطبي أبو القاسم على التمام وزاد ايمانهم بحقيقة شعبية الحدث بما فيه سقوط غرناطة بعيدا عن السلطة وذوي الجاه، سنتخطى كل الحواجز و نسلمه حيا، فخطفت الجازية آخر كلمة ونزلت بها وسط جند

الأرض الغرناطية، أكدوا لهم علماء الطب على أشياء، كانوا يجهلها من أساسها، سكون الجسد لايعني البتة الموت النهائي، فلم يقنع بذلك آخرالعبيد، ولم يكون أمامهم الا أن يبتعدوا عن ضربات الشط خوفا من لصوص أو جيوش قد تباغتهم على غير حدة، حيث أغمدة سيوف قديمة يبدو أنها كانت تعشق التدريب والمهارة على قتال حتى الذباب، وأن الزمن توقف عندهم سنغير اسمه تمويها في أول مقدمة للقافلة لأنه كلانا سيمده الزمن رحلة المتاعب والمشاق، و حتى كلاهم نضع بأفواهاها حجارة كبيرة عوض الكمامات التي جاءت هاربة عبر البحر الأبيض المتوسط من ايطاليا و اسبانيا وبعضها منذ العهد الروماني فرارا من الملك نبوخذ نصرالثاني ما قبل الميلاد الذي دمر مملكة يهودا بسبأ إلى هنا بحثا عن رائحة معمرهم القدامى، انتفض القرد وطار من شعوره لما رأى ما أنشأه المقتدر ومجاري المياه بها وعلى جوانبها تلك الفرسان وهي تمتهن رمحا بشكلها الوثني وكأنها في معركة، رغم تحريم النحت، ولما رأى بأم عينيه أيضا قفص المحمول مايزال يتحرك بأنيته كان يبدو في البدء بعيدا، ثم يقترب خارج صدورهم حدث أن ولو الأدبار في عصر ما يزال عالقا بدهن التاريخ الذي بدأت كتبه المذهبية زيفا تفقد بريقها مع بروز الحقيقة كأشعة الشمس المظلة على كهوف القرى، كلانا كان ضحية هذا الحال، انتم أربعة و خامسكم المسيحي على النعش وبعيدا عنهم نفر القردة أهي معهم أم ضدهم.رفعوا العصا الخشبية، كان الصمت ما يزال يخيم على كل شيء، فرت حتى القطط والكلاب تقدم أشجعهم فأذن، القادة للحرس باستعمال كل أشكال القمع على امتداد الأزمنة الحرة التي أستنكرت كل المواقف المفرطة بالحب والقمع في آن معا..اختفت الجازية تحت شرفة قديمة قد تتهاوى في يوم ما..والملك على غير علم بذلك حاصروا الحارات و الجهات الست المسكونة بصوت الرصاص قبل أن تزول وتنطفئ أنوار الشوارع خلال ربع ساعة من حدوث

الكارثة العظيمة، سافر العفريت الى خارج مدن الأقاليم بحثا عن تعاطف بقية البلدان معهم، فرأى القرد أن نخسف الأرض ويموت كل شيء، ظل الكل يحبس أنفاسه الواحدة تلو الأخرى وهي ليست كذلك في حجم ذاكرة القرية. استفحل في إخماد نار الفتنة التي شقا منها لم يكن الا جنسيا، ظل بعضهم البعض الآخر، امتدت الحركة إلى آخر الليل إلى العبيد السود، ودعوا الحراس بعضهم، ربما قد لايتلقون بعد هذه اللحظة لإلقاء حتفه جراء غضب العرب، ثم أذان لأول بوابة بمرور حملة الحمل، وأي عراق قد يسقط جل الحرس بالفعل الوضع أكثر هشاشة والشوق الكبير الى حنين شيء من الحرية، فرأوا تقليد الكراسي والمناصب من واجهم هم كذلك، في اليوم السابع وفي اليوم الثامن، كان قد عاين العفريت مدن عديدة حتى انهك قدميه السير وماتت فحولته الجنسية، وتغيرت مشيته، أطلق عليهم رصاص يبعث رائحة تغمي على المتظاهرين، وتنتشر في مابينهم مرض مزمن يشبه الربو، اختفت الجازية، واغتاز القرد، وزكم أنفه بخرقه بالية وهو يسحر ويشعبذ ويبخر لحت الكواكب السيارة، لئن تفجر كبير المفاوضين والثوار داخل جنده، ثم تيقن أنهم ضده أيضا، كالقطة أو الأرنب التي إن جاعت أكلت صغارها، ثم أنصرف نحو شارع أندلسي لم يصله الدمار، تحيط بك من كل النواحي، فبعد قرون بدأ الأطفال يحكون ماراؤه في كتب الحكايات عنها ويقصون لهم الكبار تفاصيل ساذجة عنها وعن التاريخ وعن العربي الذي قتل عنثرة بن شداد العبسي، أي الجاهلي وزر بن جابر ابن سدوس بن أصمع النبهاني الطائي وعن الذين ظلوا يسبون صباحا مساء بني أمية قاطبة ويستثنون خالد بن سعد بن العاص الذي تصدى للأبي بكر الصديق، أغمي على جلهم و كأنهم في حالة نوم، من الزمن. حضر الملك بنفسه فوق ركب حافل ذكره ذلك بزواج ابنه، فلما كان يتعشق السير مع المواكب كل ليلة جمعة ويتقلد نفسه بخالد بن الوليد لما

فتح العراق بعد سفكه لمسيلمة الكذاب في اليمامة، أو يذكره ذلك وهو يخرج لتو للصيد والمئات من البشرية تتفرج فيهم وجنده مجرد من السلاح الثقيل، دخلوا مدن عتباتها نصفها مدفون تحت الرمال وخرجوا أخرى مخلفين وراءهم سوى آثار أقدامهم وروث دوابهم مثل حبات بطاطيس طالها التعفن، تنحنحوا جميعا يبتسم العفريت مع القرد لما سمعوا عمر بن الخطاب وهو يزجر خالد بن سعد انك لست من أهل المشورة والرأي يا خالد، ثم جاءت القردة دون علم الجازية، وتبولوا عن جدران المدينة الجديدة في المفترق، أتفقوا على أن النهاية ستكون باردة مؤسفة ان غضب سيحز الواحد منهم رأس الآخر، دون أية كآبة مرمية على قطعة نفس فرحة مزهوة بنفسها خصوصا في الأيام العادية جدا، لما مرت قرون الهزيمة. صدق العفريت كل ما وصله مع فحيح الرياح عن الأزمنة السابقة دون تمحيص لأشكال الأدمية المجهولة القادمة، أمرهم بقطع ألسنتهم ليلا ووضعها في أيديهم، ظل قرده يلعب مزهوا فوق تاجه وكأنه ابن الملك، ثم يتسلل إلى كتفه و يرسم علامات للحرس ساخرا منهم ومن الجماهير العربية الغاضبة ومن آلهة لا يوس، حيث رأى العشرة بغال وهي تحط متاعها على الأرض التي قعرتها القنفاذ الإناث قصد الميلاد بداخلها، جاؤوا كعامة الناس من رحلة شاقة طويلة، يمدون له الولاء المختلط بالخوف وفي قلوبهم بقايا تمرد خامد، هم يتمنوا لو ينزاح عنهم بعيدا، هذا القرد الجنسي، نزل من يد الملك بقامته القصيرة بسلسلته المتجرجرة خلفه وقف على الأجساد، متدثرا بقوة صاحبه غمز بطرف عينه زوجة الملك، كمن يصارع قهر الجسد الذي لا يستطيع ملامسته، جرى لحق قط كان يتسول بين الرعية المهضوم حقها، عاد غطى عينيه بعصابة ثم... وراح يتبول عليهم و على أفواههم، كنت أحس به في شكل رغوة صابونية تتسرب بداخل ملابسني وهناك أكثر من رغبة تدفعني في اقلاب احشائي من فمي، وفي أعماقي غابر الأزمان

تستحضر شجاعتی، طأطأنا رؤوسنا ومضینا نحو اللامنتهی، مضی هو لتو، وهو یجر وراءه ذیله مبلولا، ثم غازل سراویلهم حین شرع یمزق کاشفا علی مؤخراتهم و یرقص رقصة العبید السود أو الهنود الحمر أو العرب السذج، فوق نار الحطب لینهار کل شیء أمامه. سکت العفریت وأخذ جلود الثعابین، ثم ربطها مع أذیال البغال وعلیها کومات من الجماجم کالأجراس الکبیرة، ضرب مؤخرتها وراحت تدخل متوغلة فی الریاح والعواصف البرکانیة داخل الغیم عرفت یومها أن الرائحة الی استنشقها سریا، تخفی تحتها انفاसा جد عمیقة تشعرنی بخواء ثم سرعان ما یتلاشی من بؤبؤ عیون الی كانت تتابع فقاعاتها، سواء ما حکي عنهم أو ما لم یحکیه بعد، وهو آخر شیء قد تیقن منه، تمسکوا به وببرکته حتی طرف النجاة کالقطعة الخشبیة من وسط عمق البحار مغلغین وراءهم أزرارا سراویلهم العتیقة بملامحهم المتدمرة عیاء تنبیء بها مشاعرهم الجیاشة ومع ذلك بقیت صغار الجن والشیاطین وهی فرحة بانتظار حلقة مهرجانیة، لئن یتفرج فیها الشاب أودیب وهویقتل أباه لایوس ویتزوج أمه، وهم یرکلون الجمر بأظافر أقدامهم الغلیظة الی تعبت من السیر طوال القرون، وتلاها قرن الیونان وقرن الترك العثمانین، ثم الاستعمار، قیل لهم أن اللیلة الی قضاهم مع حکایات الجن لاتفوق الثانیة وأستدرکوا أن الالهة عاقبت کل الرومان حتی یرجوا القتال من بینهم، وهی بحسابهم قرن وتسعة آیام فمن شاخ منهم غلف أسنانه بالفضة والبرونز الفارسی وصبغ لحيته حتی یرتعد شبابه المفقود وشقوق ذاكرتهم مملوءة، بالحزن الأسود، وسواد الحطب الرمادی یملاً أحداقهم، لقد عاشوا اللحظات الأخیرة الی تعکر صفو سعادتهم المنبعثة من وراء تاریخهم العریق، بكل عنفوانه، فرك رجليه لأحد منهم أستحي أو عصب عینیة، لقد ألقوا هذا فی المواعید الحساسة والحفلات وهی أمور ورثوها جیلا بعد جیل بوجوه

لا تمل من رؤية سحنات الملك، لم يصدق السحرة أن الكيس الذي أقبله العفريت لم يكن يحمل سوى قياريط الجازية وكيس آخر قديم جدا، هو لهام بن نوح عليه السلام كان يصطحبه على ظهره لما كان يتحصن بالجبل لأن يناجي الشيطان عاقا لأوامر أبيه حتى أتى عليه الطوفان واخذ يداعب... ثم تحته رغبة الحك على رأسه، فيظفر بقملة شاردة نحو أذنه، وهي تحاول أن تخترق الحدود كتلك الجماهير التي تحولت ربعها الى مساحيق من العظام، بين أدغال رأسه التي بعضها ذابلا والآخر يقضا، دس الصرة القرد، لما انزعج من الحاضرين صفق له الملك عاد إليه في حالة ركض سريعة ضرب رجله على الأرض، وانتهى منتصبا فوق التاج يمكث دقيقة واحدة واحدة، ثم يمد بصره للمكان الذي يود القفز اليه لمداعبة حواشيه، فأدرك أن المغارة التي يود التخفي بها هي حاوية لثعابين هندية عمياء، ساندت أوديب في محنته لما عاقب نفسه، بفقأ عينيه ونفي نفسه خارج المدينة طيبة على قتل أبيه، تسللت من جرايين حكواتيين عديمي البصيرة هنود سلالة قدامى الصينيين... حتى جاء المساء وغيّرت صرير الرياح وجهة البغلة، وبدأت مع الغربان النعيق فوقهم لما حسبتهم أشلاء حرب كان قوامها النار والبارود، أو التحول في لحظة قصوى الى رماد يطحن أهداب العيون المفتوحة على حدتها هلعاً، والقلوب وراءه ندوبا محدودة. انكسر الغراب من رصاصة قناص عاقر أصيب بجنون جنسي، ثم أنتهى الى الانتحار على بوابة المغارة العظيمة، كانت تشعرنا بالرغبة في بثرها كحبيبات الصخور العالقة بعرق الجسد المتهالك من هتافات الاحتجاج، كان يرى ذلك من فوق السطح لأكثر من مرة، وكأنه يتمتع بصور ملأت كل شاشات الدنيا حامت، ثم حط أحدهم يرفرف فوقهم صفقت الملكة للقرد، نزل مسرعا على أبسط الأشياء، وتابع الغراب وهو يطير من فوق الأرض، يحتضن الأماكن كقطعة فحم فارغة المحتوى وهو يتمنى أن يساوم قيراط الملكة

بألف دولار، أو اجتثاث أحشاءهم واهدائها لجواري الملك، لكن فلما وصل الشط المملخ الزيت
السوداء وأشلاء المحركات وقطع الغيار ارتفع عليه نحو أعالي الأزرق. سمع صوت العفريت يصله
متقطعا غير كهاف القرى النائبة، لحظة كان يقف ويقفز، لأماكن أخرى وهو يتسلل، بين الأواني
المدفونة تحت الأتربة، وهو يناجي بعض المعاقين عن الحركة نهائيا، حتى علموا في النهاية أن الشط
بكامله كان مجرد قاحلة قبل أن تزحف عليه أمواج البحار المجنونة، والتي ملأت سطوح القرى
العرج ناسها قبل أن تجف، ولم يبق عليها سوى ركام من الملح الثقيل الشديد البياض، قيل أن بها
ألف ومائة قتيل بين غريق ولقي الحتف بالسيف، جزء من مقدمة سفينة كان مردوما تحت الرمال
الرقيقة.. توقف الحرس، أي الذين قالوا أنه مر في أول الفجر دون أن يلقي عليهم التحية لا باليد ولا
بالرأس، مركالشهاب وإما أنه لم يستدركون يده أو رأسه، ولا علموا حتى لونه وشكله توقف
الحرس، عند آخر المغمى عليهم مكونين صفا واحدا وجهها لوجه للملكة والملك غمزت بطرف رموشها
القرد، ثم أشارت للغراب بشيء من أصبعها، تقدم القرد عاد، ثم دني بجانب الأشياء الملقية
وابتسمت إلتفت، ثم دنى وسطهم حين راح يخرج لهم أقضابهم الواحد تلو الآخر مغيرا وجهة
أقضابهم الجلدية وقد أحمرت سحنات الواقفة حرجا من المشهد، كاشفا عن رجولتهم أقبيل الركب
ليلا وبغالهم تحمل أكياسا خيشمية، تعجبوا من تشققات الجفاف التي تركت على أثرها خطوات
العفريت التي لم تكن تشبه شيئا البوابات الكبيرة خاصة جدا، وسرية لا يدخل ويخرج منها الا
للصوص ومن تراه الرعية، ولا تقوى على محاربته أو مخالفة ذوقه هذا ما أكده خبراء الجنائيات في
السرقة بعد قرون عديدة، ما تبقى سوى سيوفهم الفارسية وشاقوراتهم التي كانت تمنع على
الأسواق والمدن السفلى خلال لحظات النوم والراحة. وهم جد متخاذلين أمام بعض العصابات

التي كانت تضرم النيران في الجثث إيهاما لخبراء الجنائيات والحمض النووي، وتوهم من جهة أخرى الكل بأنها من حاشية النبي سليمان عليه السلام، تقدم الحراس أمامها جاعلين صفا واحدا كالرقصة الشعبية. فتح القرد لحظة طرب جميلة بين الحضور، أمرهم الحرس بنقل قائد المتمردين وجلده ينز برائحة البغال المخصية، وإدخاله غرفة بها مائة جارية لم يمسهن قط ذكر في حياتهم، جالسين على البوابات الرخامية اليمانية المادة والتي تشبه جنات الأحلام، تحسسوا آثار اقدمهم الآتية من مسمات بغداد متخلفة عن الركب، فظهر لهم قبيل الفجر ما يزال يتبزع رويدا رويدا بدون زاد الا مع بغلته وكلاب ضخمة جدا، تتشمم رائحته بعيدا عند مساحات الفناء، تتجول ثم سرعان تتبسط جالسة مختلفة الأجساد على بعضهم البعض، مضت الليلة الكاملة من أول الى آخره. أخبر الغراب كل القردة بما حدث وهو على ساحل بحار كانت في الواقع سلسلة من الجبال الشامخة لما استفاق بعد سنة فوجئ بعبيد يهود، كانوا قد أسروا منذ القرن الخامس عشر أثناء هجوم الأسبان على شمال أفريقيا، نهض فوجد الأنوار كالظل، جوانب بنفسجية وأخرى حمراء تعكس ألوانها على تلك الأجساد الشبه عارية، بدأ يشعر العفريت باللذة الجنسية، رغم اختلاف الجنسين، في البدء أقنعوا الكل أن تفاصيل الحدث لأحد يعرف مغزاه جيدا، لأكثر من قرون الجروح، اتسعت زيلت الظلمة تحسس من وراه تأكد بأن كل شيء آمن، ثم نزل من العربة وأخذ يدور حول نفسه ويتأمل الزخرفات والرسومات الحائطية الغريبة الأشكال والألوان والخطوط، ومكان مضاجعة أوديب لأمه جوكاستا بطيبة، والجبل الذي كان يود لايوس ترك فيه أبيه ابنه أوديب وهو رضيع حتى يموت ولا تحدث نبوءة القتل للأب من طرف الابن الا أن الآلهة منعه من ذلك، في الليلة الأخيرة اكتشف الأشكال التاريخية التي تكسرت على رؤوس أجداده، بكل

أمان وزجت رؤوسهم بكل برودة تكررت، حتى أصبحت لم تدرك في عينيه بحيث جل الصور كانت مليئة بها حين أجبرت حركاتها وكأنها واقعية على ملء من الذاكرة، حيث بدأ ثقل نفسي يميل نحو حنين الطفولة والوجوه التي تواجه برودة الجدران الباردة لحظة الانتهاء من رسمها، وكأنها تصرخ وسط زمن فارغ من الأحداث والمهازل والكوارث الاجتماعية، والقرد يسخر منها ويود اسقاط وتكسير لوحات زيتية التي عليها سود يرمون بالسهم الحادة تلك الأسود الضارية والغزلان الفارة بحوافرها الحادة، ليصطادها للملك وفرسان القديس يوحنا وهم يعيثون فسادا، تاركين بقاياهم على الأرض والأرواح تصارع الحياة والموت بريق عيونها كصغار القطط الفارة من مناقير نسور محتمة عليها المغلوبة على أمره والملوك الرومانية ومن وقعت بهم كليوباترا، وهي تتأوه لذة حبا في العرش وخاصة يوليوس قيصر قبل أن تنتحر، تهد مرة أخرى حين رأى أقزما كقردة مرهقة من شدة اللعب واللهو، وطوال الليلة خاسئين أنثاهم تداعب ذكرها وتشاغب على جادة البغلة لتفقد صوابها وتهرب خارج المدينة، ثم جاء ثم غاب كبيرهم، وهم في حرب مع بقية الكوائن الجحورية معارضة الحراس للجماهير وفي العام القادم القردة لم تعد تعني في نظر العبيد شيأ ذي بال، انتظروا كثيرا من تحت البوابات لكنها كانت ما تزال تحاول أن تتجاوز محنها دون أي ضجيج، اختلطت الأزمنة والأمكنة على الكل لكن الشيء الذي لاينكره أحد أو يختلف فيه اثنان من أن هذه القوارض هي الشبيهة، بالقائد الأوربي فعلا، واستغرب وهو يرى الوثيقة التي نجت من أسنان الفئران والحشرات الراكنة بالصناديق الخشبية والتي وقعها أهل مستغانم ومزگران ووجهائها وذلك بعقد الصلح كرها مع القائد " فرنانديز دي قرطبة" ازداد قلبه في الخفقان وهم ينفذون قرارات مستشاري الحرس وهو يغير له الغرفة، بدأت أعصاب العفريت مفتوحة الأنابيب وهي تكاد تنفلت من أماكنها، أصدوده

فوق العربة الخربة لابعاد أية شبهة من ناحية المعارضين، ثم أدخلوه غرفة شبيهة بالمهرجان، عذبه أنزله أعرج يتمايل وأغلق الباب دونه كبير القردة ونغمات الهرج والموسيقى الموافقة، لأنغام التعذيب تصم أذنيه وهي تتماوج نهائيا، على أشعة ضوئية حمراء قانية توحى بنهاية العالم ومضخات العيون تغسل مع الأمطار بلايا الحروب، وفي أحد القرون لما أستيقظ وجد الظلام يعم المكان ودود أبيض لماع يزحف من زغب القردة الشائخة متحركة كرتل من الجنود الرومان، نحو أذنيه وتنذر بخلاصي الزمن الموجه، كانت معلقة بالسقف وبعضها متدلي بالتساوي على الزوايا كأوراق الأشجار. خفتت الأضواء بعض الشيء، امتدت إليه الأيدي بضة من جهة رمت ملابسه تحت الصرة كمريض لفظ آخر أنفاسه على امتداد الزمن، تخذر بفعل اللمس والمآسي على صدره، وعنقه الملتف بالزغب، لحظتها انكسرت تحت اقدمه كل اشعة الأضواء المنحدرة من الأعلى، دلف الغرفة الصغيرة يمتطي نزوة بامكانها أن تفاجيء أية فتاة على وجه الأرض، أحد القزمة منحوت الشكل والهيئة وكأنه من الزواحف منتفخ البطن وعلى صدره يتربع نهدان متكوران كالأنثى البالغ. كان يتحرك كالحية سيرا على الأقدام، تدحرج حول حبل مال به في كل الاتجاهات، حتى المتعارضة مع حركتها بما فيها القفزات الأسطورية التي يتسلى بها تخفيفا للعذاب، انطفأت الأضواء حاول أكثر من مرة أن يتخفى عن الصورة لكنه فشل وظلت النسوة يتبولن عليه الواحدة تلو الأخر، كان يكبر ابن الزانية بدقيقة حسب العفريت، الذي كذب يوما على أن أول من يجوز للجنة هي فاطمة بنت حمد والله يأمر البشرية، بالغض من أبصارهم خشية النظر فيها بشارة مخزية قوامها الندم الطويل الذي يغسل كل ملامح الوجوه العويصة، نتف زغب جسده بالكامل، بدأ يتسرب من منخريهما شبيهه بالدم والقيح وهو كله ثقة أكثر من عفاريت جهنم، بعد ساعة من

ساعات الفجر،أنحدرت بعض الأقاويل أن هذا الحمل هو مجرد جثة مفصولة الرأس،لقد أصطاده القرد غارقا في ضحك جنوني مع بنانه،فشده ثم ضربه وهو على أية حال ليس سليل ثورات الغضب.كان صدره لوحة خشبية جف عليها النهر مدميا جراء خدشه مؤهلة،لئن تكون هوة عميقة وجلدة قضيبه متدللية على جهة تشده سوى شحمة رقيقة يتسرب منها الوسخ وشفتيه يتفسخ منهما مياه عكرة صفراء ممزوجة بأحمر الشفاه،قال العفريت وهو ينزل مع مطر مفاجيء دون مقدمة توحى بذلك ها أنت تعود الى لحظة البدء من جديد وتتذكر كيف سقط في شراك الكيد العظيم البحر لم يكن هادئا هذه الليلة ظل عليهن رجل أسنانه مذهبة يوحى بالفجور لم يغير العفريت مكانه تقدم الرجل وترك بغلته خلفه مرر يده على صدره،مسحها وأمر بإدخاله لغرفة العرض بمناسبة ختان الملك لأحفاده زرعت بعض الأقاويل أن الداخلين كلهم يحملون داخل صدورهم توائم وتعاويد خشية المس والصرع الصوفي الذي وفد الى قسنطينة أيام الفاطميون ومعهم عادت الشيعة لصرف العامة عن السياسة.دخل عليهم السحرة المخيفة فجأة،كان دم الأطفال في طريقه الى الجفاف كاشفا على عظامهم،بدأت الرياح الخفيفة تحركه وجناح العفريت يعاكس رغبتها وهي تشتبي رمية على احدى حصائر القاعات المستطيلة الشكل،هكذا كما رأتها عيني صادقة،أي على غير ما رويت لاحقا في كتب التاريخ التي لم أعرف كم دام مؤريخوها في تدوينها بعيدا عن الالتجاء لكل كتب الكذب والزيف اختلفت الهمهمات،عبر أروقات الجنة والسماء حتى بلغ الأمر بتكذيب كبير العفاريت رسالة المصحف ووجود اللوح المحفوظ وقال انها مثلها مثل صفحات المسعودي الزنديق،المتحولة خطوط كتبه الى مجرد رماد،استطلعوا الملكة بما جرى كل بدايات التوقع أستطلعت عليها عبر مخطط ورسم بياني يشيء بتراجع جرأة الضبط الى الورا

داخل خواء رهيب، تعب الغراب من المشي مهولاً راجلاً وهو يتابع غضب الثوار، لكن فلما أوشكت خزنة جهنم القاء القبض على العبيد السود أعدت التقارير بخطوط كبيرة شبه كوفية بأن توضع تحت أقدامهم جمر يغلي حتى تفيض أدمغتهم ومعها بركانا من الصهيد.. تريتت الجازية، ثم تهالكت على أريكة خشبية يلفها قماش قطني أحمر مع موسيقى هادئة مجنونة الايقاعات تقود الى أماكن عنفوانية خصيصة للزانيات المتعودن على الزنا عاريات فوق قبور اليهود للشعبذة والمسلمين المورسكين، للخروج عن الطاعة بموسيقى غير مبالية بقطعة الخريطة الملفوفة أمامها. ظل القرد يتلاعب بها يمينا وشمالا، ثم ثمنها، كورقة السر حالت قليلا على حواشها من شدة أنامل اليد المبلولة وبجانها خيوط متينة، كانت تشدها في وسطها على طاولات خشبية مستوردة من استنطبول، عندما فتحت الباب الداخلي أول مرة لم أر سوى رفوف من الكتب المبعثرة شمالا يسارا مع الدواة والحبر، قيل لي أن بعض القردة تشابكوا في ما بعضهم حول الساعة والدقيقة والثانية التي يحل فيها الربيع مفاجاً الكل، فأتلفوا الأواني وكتب البخاري ومارواه عن عمر بن الخطاب، لما ضرب الأمة لأنها غطت شعرها كعبدة، فحين منعوا العجوز الشمطاء الحرة، فأستشاط غضبهم أكثر من هذه الطبقية. أشعلت سيجارة وعادت الى قضية المزاد العلني وأمرت بأن نبقى عليه ولو الى قرون متأخرة من الدهر أو يذهب يابساً أدراج الرياح، لكن بجرأة مثالية لا يحدوها التلف والنسيان، حتى يباع في المزاد العلني عضوا عضوا يابسة كالحجارة أو كقشرة الرخامة الرقيقة الملتصقة بالأرض والملابس القديمة المعلقة بمدخل اليهود، أصحابها منذ قرون، كانوا مجرد أناسا بسطاء وهم مساكين الى حد التخمة، جلهم مات جراء حروب فصادفتم خصوم مثل قردة الأسواق الهندية، اطاحت بهم بلاهوادة بعترث أجسامهم في كل الاتجاهات وهو كذلك في القرن الرابع وهاهو

بظلاله، لابد أن تكون متماهية مع واقع الجسد الضارب في زرقته قد جفت وأمتصت معها كل الأمراض المزمنة للجسم، أغلاهما قضيب من خشب، بدأ يخسر لونه الحقيقي ويندثر شكله الى مجرد عمود لأهمية له تذكر، مثله تماما.. سيعودون القردة الآن مسرعين لما يسألون الملكة، وهل هي محتوفة منذ مدة ودون علم الملك كذلك الصاهر مع جاريات عرب بني هلال ولاصغار العفاريات التي فرت خوفا من أثر حركات الثعابين المرسومة على الرمال بكلام وحروف خجلة و مضطربة أغلب جملها متنافرة كالعلامات، قيل حسب علماء اللغات القديمة أن خطها غير معروف بالمرّة كزخرفة الأفعى، وحتى معناها قد يتقارب مع نظام أبجدية اللغة السريانية، عطس العفريت فأرتعدت السماء، فسارع بعض الكهانين فالتقطوا بعض الأضواء الغريبة التي أنشأ عليها أحد ذريات هام بن نوح وهو زورستر قاعدة سحره انسحبوا الى الوراء من شدة ضياء البرق من جهة أخرى، تاركين بعض القطط تتجول بذلك اليهو الواسع لما شعروا بذنهم في احراج الأسئلة، انتابهم لحظات جنونية، وهم يشاهدوا كذلك تفكك الأجزاء والكواكب والأبراج السماوية التي لها أكثر من مغزى، وأدناها تلك الأفكار التي ظلت تشوش عليهم الحياة، وتملاً الذاكرة بمخايف الحكايات الشعبية التي أثارها كبير القردة المستوردة من الهنود الحمر ومن حلقات الأندلس، وهم في سير سريع في نهج يؤدي مباشرة الى قاعة العرض واجهة الزانيات فيما أحد الأوربيين فضل أن يشتري كل أثاث المعرض بأغلى ثمن حتى يكتشف ابوابها السرية المطلة على واجهة البحر، حتى قفل الباب الخارجي لليهو، يظهر وكأنه مجرد ثقب أوضلفة ساقطة منه كأشعار أحمد مطر ومحمود درويش، وإياكم أن ينفلت منكم هذا السر إلى الملك أن ثارت ثائرتكم الليلية، فأستبقوه بدواخلكم كديكور عتيق لايمسه مكروها أبدا، وإلا أمرت بدفهم أحياء دون حبس أنفاسكم كالقطط الصغيرة

التائهة تحت حيطان تونس التي مازالت تحنو الى البحث عن أصحابها متجولة بين الدروب. اصطف اليهودي أمامها في واجهة الطرف الآخر لها، وكان حواسهم ضاعة منهم فجأة، أول انطباع لهم وكأنهم يتحصرون على ما فقدوه دفعة واحدة، قالوا أن الأمر طال عنهم وأصبح الوضع مخيفا عنهم اكثر من ذي قبل، وحسب الأخبار على حافة الطرقات بدل المقاهي الشعبية ان الحكاية التي أندرجت على الأفواه جليها من نسيج الشهداء عمرها قرن وخمسة أيام، وغير الأصحاء، هم اثنتي عشرة معاقا وأصبح العفريت يتشفى فيهم ويلطف، ويخفف من المسألة أكثر من ذي قبل، حتى لا تنطبق على الزيدية والاثنتي عشرية، أي الامامة الشيعية الشاذة. دارت عدة اشاعات وأن بعضهم ومن تجاوز الأربعين من عمره أصيب بمرض السكري جراء انتصابه كل هذه المدة، فلما تزوج بصهرها ضحك عليهم وصفق نفر الجان دفعة واحدة حتى أسقط فراخ طيور الخفافيش التي كانت عالقة بحلقة الليل ودمسه، وقال انهم بدوا كعرائس القاراقوز المملأ أعضاءها بالقماش أو مراهقين تركوا لعبة عظامهم مردومة تحت التراب مستسلمين للقدر ولأنهروا، بمفاتن جسدها البض الكل علم أن العفريت قدم على نفي عدة جوارى دون ركوب أي جريا على أقدامهن حتى قيل أنهن وصلن الى أهدافهن من قبل تلك البغلة نحو أبار سد مأرب، انحنين دفعة واحدة فأمرتهن بالانصراف في هدوء تام حتى لا يحدثن ضجيجا ويعلم الكل بالنتيجة. كان شابا شجاعا وقويا وفي مقدمة المحن وكان بحارا بارعا يشبه إلى حد ما عروج الذي ألقى عليه القبض من قبل بحاري الشرق وهو لا يتجاوز العاشرة، لمدة سنتين والقيد في رجله كفار من مليشيات القردة، وهو يعمل كمجداف فر مؤخرا، أعترض طريقه العبد اليهودي الأسود نسله مزيج من يهود بني الدريد الهلاليين الذين جاؤوا من الجنوب التونسي خلال الهجرة الهلالية المشرقية المغربية بدءا بالقرن العاشر ميلادي، تدرج

مع الوديان حيث ألقى بنفسه إلى البحر، لما كان على مقربة من سواحل مصر، ثم عاد عبر جزيرة مدلي إلى أسرته، ثم أرغمه كوركوداين ابن السلطان العثماني بيازيد وأرسله غازيا إيطاليا أين كانت الحرب ضد الإسلام والمسلمين، لما كانت الساعة الخامسة إلا ربعا، كان يحاول ذلك الشاب الفرار من قبضة الملكة ولو كلفه ذلك الهرب على يديه ورجليه يجثوا عبر رواقات القصر كالكبير، بمساعدة أحد العبيد اليهود البيض، الذي أسرو بوهران ونجتهم عدالة الإسلام من المحرقة اليهودية وهو اليهودي أشطورا، بدأ يتمطط على ظهره عشية توقف الصراخ والعيول وتفرق المظاهرات من قبل المليشيات المأجورة سحب خيوط الموت باتجاه الغلام المسروق الذاكرة الذي عثر على فراخ أجنحة الخفافيش وريشها، وفي قلبه شيء من الرعب وهو يحلق في سقف غرفته حالما يستفيق كل صباح قبل أن يدلف مندفنا بين أزقة غرناطة التي بيع فيها أجداده قديما بأبخس، ثمن والدموع عصبية النزول من عينيه، عبر مسامات خديه، أنصرف العفريت وترك ندوة الجان تطحن بعضها، ونصفهم ساقطا صريعا على الأرض، ولقد بدأ الانتقام قبل أن تحل بهم الأيام العجاف الصامدة أمام بوابات الأحزان، وراح يشجع على حرق كتب المصحف والحديث وشعراء المعلقات وصور صغار العفاريت ماعدا اشعار محمود درويش وأحمد مطر ونزار قباني، خرج مزهوا الى كبريات الشوارع، الباردة كروقات السجون القشتالية وهو من مهاجري الأندلس ومعهم الميغورشيين، أي التي تعني المطارد أي ميغور.. ماتزال به رائحة كتبها الفتية، لكنه للأسف مسح على ذيله بلسانه طرح عليهم مقترحا مليئا بالأسئلة المتعلقة بالحدود، ثمساعد على احتلال وهران بمساعدة خونة الجان، هي أصلا موجودة بالمخطط استفاق الملك حين أدرك أن فراغا بجانبه مهول، رمى يده بعيدا جهة الملكة، فلم يجد سوى الخواء والمغارات التي كان يختفي بها الفارين من

أحداث الشغب الكبيرة بالمدينة العربية والمملوءة بروث الأبقار الذي يزكم أنفه، ثم لفت انتباهه حركات القرد وصغار القردة تحيط به يعلمهم كيف يبتزون أعز شخص لديهم، حتى وان قدم لهم اللحم المقدد، القرد يصطحب عادة الملكة، لما تسقط في شراكه الأبدي، وهو في كل يوم جديد يكتشف فيها شيئاً جديداً، فلما يلامس صدرها يستشعر عادة بالدفء، في حركة ذراعية وراح يطوف به القصر ويدلف كل الغرف، ربما غرف عديدة كان فيها القرد ممارسات وعلاقات جنسية كان همها الوحيد هو المتعة لأقل ولا أكثر، حتى وجد الملكة مختصراً الممر، بأقصر الطرق المؤدية الى الباب الخامس المطل على الساحة التي أخرج منها.. خشب الباب يوحي حتما بعنقاة التاريخ يقف على صخر النهر المتغذي من عظام الشهداء كالغرقى والقتلى على نشاشيب القردة وتداعب الحيتان بشخص كبير يتموج دائما نحو انسداد الماء، فيقتفي معه بقايا بحارة ظلوا في طي النسيان غلقت عليهم كل مخارج تلك الحياة بواسطة سداة العنكبوت الحامية، لمنافذ العرش، وأعشاب غريبة وهي متعرية فوق الرمال شقراء الجسد والشعر معا، لاتبالي بشيء، ثم تتماهى بعصا الصنارة وكأنها قضيب طويل لا مثيل له، ثم لاتفتأ أن تبتسم من اعتقاد البعض أنها ذكر وليست أنثى. وقف عليها نهضت، وهي تنتفض من حبات الرمل العالقة بها. كان الضباب يحجب الرؤية والسفن والنوارس، تعلن هجرتها نحو الأفاق الأخرى حيث الأطفال يتمنون بناء مدن هي لعب فقط من عظام الموتى كالطباشير، التي فقدوها من على طاولات اقسامهم الابتدائية أيام الدمار والغضب..أخذ يمسح على رأس القرد ويسألها أين العبد الشجاع، رمى يده ثانية فوجد كتاب البطل سيف بن ذي يزن وقصة تغريبه بني هلال إلى بلاد الغرب والحرب مع الزناتي خليفة صفحات الكتاب أخذت معها كل الأشياء الصغيرة. وبقيت أحاديثها في تأويل مطلق كل واحد يحفر فيها ما

يشاء من الأسئلة ضمن التغريبة الكبرى، للقبائل المهاجرة، فماذا بقي من العنوان تغريبة بمعنى غربة المكان، أم الدخول الى مغربة المكان، على أية حال ظل هؤلاء يعبرون في حنينهم الى أوطانهم بشكل مبهم لم يكن من السهل حقن الشوق والى الأبد. توقف الزورق وهو يمخر عباب البحر إلى أن رسى بين صخرتين كبيرتين، بنفس الطريقة التي وجد عليها قبل الانطلاق والتوغل في البحر، نزلوا بأطراف الحلقة بعيدين عنها حوالي عشرة كلم. أخذوا الحمل فكان وقتها لا يحمل أية عبارة تدل على أنه ميت، أو مجرد جثة أو يتحرك خلفه أقرباءه ليدل على ذلك وأخذوا يطاؤون على الحشيش ويتحركون، بين أعشاش القصب الكثيفة الباردة وكأنهم ملفوفين فيه والماء العكر يغطي أخصم أقدامهم الباردة، حتى إذا ما واصلوا المشي، صادفوا طامة التماسيح خارجة كالشاحنة الكبيرة المقطورة من مياه لها رائحة من ألقى بهم بحرا من المورسكين المساكين يوما ما.. وهي صوبهم فاغرة فاها، ألقوا به مطويا على أسنانها وأدبروا هاربين إلى حيث أشجار الموز، فيجلسون فوق أغصانها في مأمّن عنها، حتى تأكله وتمر إلى حين مرساها، وإلا يكونوا هم كذلك من الهالكين، خرجوا من بين أدغال القصب ووحل الطين يثقل أحذيتهم المطاطية، كثقل تلك الحكايات مع الرسالة المبلولة المثقلة، بنعيق الغراب والنكت الساخرة، أما رؤوسهم المتورمة جهلا وربما كانت ألوانهم الفاترة وملابسهم تعكس أحيانا حجم حرارة الشمس اللافحة والحمل على أكتافهم كأنما بعثوا من الأرض، فلما وصلوا الباب الخلفي التاسع عشر، فوجئوا بجواري بيض كالحليب أخلوا سبيلهم دون إحراج صعدوا سلما رخاميا ينطلي بكل الألوان، ويخترق كل الأقدام كلما وطئت عليه شعرت بالخوف وجاذبية كالنمل تنكسر تحتهم، فكان ينتابهم احساس غريب بالهرب والقفز، من عليها، ثم بأقصى شيء ممكن، وبدؤوا في الصعود، حتى انتهوا قمته وهم في حالة دفاع عن النفس أم في حالة

ترحاب، أختلط عليهم الأمر فتصادفوا مع غلام أسود، غير الفلاشي الأصل أي الذي زرع عذرية زوجة العفريت يوم زفت له. همهم بحارسين على يمنه وشماله اللذان ظلا مختفيين داخل ألبسة رسمية كبيرة عنهم، لالشيء الا لنحافتها وسوى لخدعة وحشة الزمان ولمعرفة أكثر مغزى ومقصد هؤلاء الثوار تاريخيا وعبر كل الأمكنة، طلبوا منهم الأسماء وحدها، ثم كنياتهم وأمرهم بمواصلة الصعود، دون اقتحام الدهاليز التي كان يسجن فيها أبو حمو الثالث الزياني في تلمسان خصومه من المسلمين، حيث كان يولي الطاعة للملك شارل لكان كمليشيات القردة و قتله أبي زيان الثالث الذي قتله عروج بنفسه مع أسرته لخيانته. خرج أبو حمو الثالث الزياني من وهران و معه فرقة من الجيش الاسباني نحو تلمسان نزل برشقون الساحلية، حيث ضربة قوة من وهران حصارا على أبواب تلمسان بكل هذا السؤ مما أزم الكل على تغيير الاستراتيجية داخل الجيوش وبين القواد، ربما كان شياً مضحك أن ينذر على حرب الابداء فعلا فتش أبو حمو عن كل الواجهات، فوجدها تنز برائحته النتنة صباحا مساء وخطط النمل لايفقه فيه شيئاً، فزادت في تغليظه أكثر، خطى القردة وأثرها المنحوت على الأرض، الحرب البارود الموت صهيل الخيالة، وهي تتراجع تم بداية نهار جديد، أستندت فيه المواجهة العظمى مما ضايق أبي حمو الثالث لمدة ستة أشهر، كل شيء مسدود في وجهه والخوف يعذبه والمعارك الضارية بين عروج و أبو حمو الثالث الخائن، وقد أرسل الملك المريني، ولم يبق مع عروج إلا عدد قليل، تمنى عروج لو يتحول المرء الى قوة فاهرة يخسف بها كيد الأعداء، لقمع الموقف، ضحك من أعماقه وهو يتعشق دروب الجنة. تأسف القرد على هذا الحال بين القائدين وخصوصا ندم كثيرا عندما تذكر عضة العفريت ظلما. فخرج عروج وجها لوجه مع القائد الاسباني غار سيادي لابلازا ، تبادلا الضربات بقي عروج يصارع

الموت، ثم يترنح بين الانتصاب والانهيار ماهي الا لحظات حتى سقطا الاثنین قتيلین معا، على حبال بني سناسن بقلعة المشور، أنتكس لحظتها القلب والذاكرة معا، فوجد الزمن نفسه عفرتي يبحث عن أسهل المخارج كالدئاب العربية الأصل لكني مازلت أرى الى الآن، مخرجا بوابة هذه المأساة وأستعيدها بدقة متناهية، كلما مررت عليها بإحدى الزوايا، فكانوا كلما اقتربوا من باب إلا وانفج لوحده بقوة سحرية أو بقوة من أستفتت من الرعاة حول الرؤيا لمعرفة الخارجين عنها ليلا ومعها نهارا وأجمل ما فيه تلك الأضواء النورانية الربانية بخطوطها المنكسرة على عتبات الشفاه البدوية كحكاية الأطفال السحرية لأنتقال اللحظة من العادي الى اكتشاف اللاعادي، بعد أن يغمز بأضواء حمراء على وسطه. تقدموا قليلا حتى وقف عليهم بأحصنة بخارية، تقودهم مومس جميلة جدا، تسرق متعة العيون وهي ملهى للملشيات كلهم وفي غفلة من وجدانه العطش، فأمرهم ابن الزانية بالركوب خفية عن القردة اقتحم بهم عدة أبواب الشبيهة بالأبواب الأندلسية التي عادة ما تجيء تحتهما العديد، من الأسرار، من باب العزون ومنافذه فلما وصل بهم بهو الجاريات السود والأسرى، استغل أحد القواد العجم كره بعض المسلمين لسلمان الفارسي لعجمته، فسلم تلك المومس للجيش الأوربين، ثم ابتعاها شرلكان للعرب تحت عبودية النخاسة بكل بربرية، لشارل لكان ذي اللحية الشقراء الطويلة، ثم أمرهم بالنزول إلى باب الصيادين، لقد تلاشت حتى رائحة صناديق الحوت ورائحة العرب. كان اليوم حزينا ودون عفاريت ودون رائحة للشهداء أو المورسكين من العرب، وأمرنا بالسير خلفه فوق جسر مصنوع من القرب الهندي يحاول عبثا السقوط حرا، دونما أية مقاومة خصوصا لما تغلف وجوههم كل الطرق وتزايد عليه أقدام المارة، وعلى أرضيته أخشاب صلبة من أشجار العريش الذي يتكاثر عادة من الصحاري القاحلة، والصخور المهجورة بجحور

الحیات الغریبة، لكن أماكنها بقت محظورة شاغرة، كأماكن الفطر، وهي متناثرة بشكل عبثي، وكأننا نمشي على الهواء فقط كانت لحظة الوصول الى لحظة انكشاف الأمر قد بدأت ترنوا على مرأى منا جميعا، استنشقتنا نسمات الحطب حيث كان بعضها بهم بالسقوط أسفل فوق النهر وفي طريقنا تحت النهر، أول سؤال صفعنا، فهل أنتم بحارة أم جئتكم تطالبون عن مغزى اخوانكم واحبابكم المختفين منذ سنين الفتنة، فلم نجبه حسب ما إتفنا لكن أن نقابله بالصمت والسكون، بدأ يتعشق بفارغ الصبر أصواتنا وشكل حروفنا، من المخزي جدا أن يفقد الانسان لغة تواصله مع الآخرين، ظل الجرح يتسع هوة والمسألة تستزيد في التعقيد بين العبيد والسادة تعب الحياة والغربة ولاعلامه يسارية أو يمينية توحى باتجاهنا، الا بصيص من شطط اللعنات الذي بقي يسري بدمنا ببطء ثقيل جدا وخاثر، كل أيدينا وما فيها ينام ويستيقظ على الرماد رماد العظام للقتلى والظلم والعزلة العالمية والحوت الكبير يأكل الحوت الصغير، لمدة سنين حتى أنه لم يعد يستطيع البلع لكثرة الأشواك، التي ابتلعت من ألقى بهم في البحر من مورسكين، أنتم محاربون قدامى، أنتم خدم فارين من بطش مولاكم، أنتم عرب أو يهود فلاشة مطرودين من قبل المسحيين الاسبانيين من الأندلس أو البرتغال، شحب المشهد تصلبا توقع القرد أسئلة مع أجوبة حادة حول الوجود والكون، هكذا تبدأ الأشياء الجوهرية في تحديد الهوية لاشيء تغير في العروبة، سوى الأشكال الهندسية لبنائي الأندلس، لاتعود يا بني ولاتسأل، أحذرك أنه سيعيدون القاء القبض عليك للمرة الأخيرة، فيخصوك شر خصية حتى يأتون على عقمك ويقضون على فحولتك ويتحول كل شيء فيك الى كلس، دون لحم ودم، فهل هذا المغطى بالبلاستيك كلب الماء، أم شيء آخر، سرنا معه لمدة خمس سنوات كاملة، نمنا وكان الليل يتحرك فيه إلا أصوات طائر الليل وفسفت الحشرات

الطائرة الصغيرة بكل بساطة أرهقتهم بعض الأسئلة كطيران هذه الحشرات التي أعيها المطاردة كالمورسكين العرب أو الفلستينين، هم مساكين العصر، ما يزالون في العهد الحجري، فلم تجد أين تحط بسلام هذه الحشرات البريئة النية القردة قتلت كل الأنبياء ومزقت جل الرسائل، وحرقت ربع المصحف، وحتى أنه لم يفعل البتة هذا الرجل الغريب، ونحن أيضا كنا نسأل، أهو مؤمن برسالة ما، أم ما يزال ينتظر جفاف تلك الرسالة التي عثر عليها الغراب من تلك المياه، أهو خادم، أم ساعي طريق فقط. كانت آخر لحظة محذرا فيها إياه يا بني أن يجهزوا عليك من كل ناحية في البدء، ألقوا على عينيك خرقة غريبة وعليها دموع يابسة من الأحزان حتى لا تغرف ومن معك في دموع من الرماد، بيد أنه حتى إذا تاهبت بغلتك للهرب من عيون الجازية قطعوا ركبتيها الأماميتين حتى حز المنشار عظمها الكلسي، أم من الذين استنجدوا، بعروج من ظلم أبوا حموا الثالث الزباني المعتمد على الأسباب، الذين أعادوا تنصيبه على تلمسان ضد الملك الشرعي، أبي زيان الذي تم سجنه بعد انتصار عليه أبو حمو الثالث هو مجرد رؤيا أو كأنهم أشروه من أرصفة شوارع الأندلس، أو من أحد أحياء الشهداء منسوخ الصفة أو من سوق النخاسة للعبيد. بدأت من حين لآخر بعض الحشرات تشغله عالقة بأطراف عمامته ولباسه، لست أدري ماذا خرط على حائط زننته بعد شهر الشبيهة أجوائها، بجدران الأندلس الشبيهة اللون بالعظام، فلما جاء الصبح وجدنا أنفسنا داخل بهو أكل الزمن لون جدرانه وعلى بعد منه المكان الذي سجن فيه أبي زيان .. استقمنا وحملنا الحمل المغطى كالعادة فجاءنا باب من دفتين مغلق بإحكام وفي وسطه نافذة مستطيلة في شكل زجاجة مراقبة خاصة، بالحراس، شيء من الرعب خصوصا، اذا ما أكتشفوا فجأة بأن الزائر من حواشي العرش في زي متسول أمتهن الاعاقة، إما الخرس أو الصم أو العمى أو كهذا العفريت الضال، الذي

زاد من تصديق فعلا خرافة الله وفاطمة ومشكل الجنة، وبدأت فعلا بغلته تذوب وتذوب حتى صارت كحبة النمل الصغيرة. كانوا كلهم من جنسي الإناث جواري يضعنا على أفواههن وأنوفهن كممامات بيضاء، كأصحاب العمليات الجراحية ومآزر بيضاء بضة كبشرات أجسامهم، فبعد أيام قليلة، من وقوفنا بالمكان وقد مر القرن الحرج، أرهقنا الانتظار، وبدأت نفوسنا لاتبعث عن الارتياح، وكأنها تود ارسال دخان شواظها، فبدأوا يكثرون فينا التحديق دون أن ينبسوا ببنت شفة واحدة، راقى لهم فكرة تكسير الزجاج بأحذيتهم الصلبة، فلم يتوانوا أن ضحكوا من أعماقهم، وضحكوا أيضا على أولئك النيام بساحات كبريات المدن، منذ ما يزيد عن ثلاثة قرون ودقيقة المحتجين على سوء أحوالهم الوسخة، وهي كاللحم الفاسد الملتف حوله ذباب العالم، وحينئذ زاد استغراب الجواري كلام الله مع البشر حول أم الحسن والحسين و استغرابهن من أن هؤلاء لا يملكون أسنانا ولا أضراسا فهم يصرطون الأكل دون مضغ، أفواههم كجحور الضب أو اليرابيع لا أحد غدا يدري من هؤلاء حقا، عندما أصطدموا بقدر القضاء، أستذكروا سوى من كان يبسط لهم كفة المعونة من القلب، تأكدوا من خطر مجهول وغير معين في أعماق أحد الجواري، بأن هؤلاء عبيد قطاع الطرق لا يملكون أية علامة خصوصية أو بطاقة أو شهادة تدل عليهم سوى السواد الذي يغطي جلودهم البراقة، بفعل زيت العرق المتسلل من بشراتهم، المهم أنهم تيقنوا أن الدنيا أفعى عمياء هي بنت الكلب التي أختارت، للون ثقافة معينة تحيل بكل بساطة على اشتهاأ أخايد وجهه يحبذ الطبقية ويرفضها من الوجه الآخر، على شفتي غيلان وديعة جدا، وجهان لعملة واحدة، لجسد سيصبح أكبر من التافه وأقدر من لحمة متعفنة تتذمر منها، حتى تلك القطط البرجوازية الهادئة في مرآبات السيارات، أي بين عجالاتها الفخمة داخل أفنية القصور المسيجة، فتحولت الى عظام، انتهز

العفريت فرصة عدم مبالاته بندوة القردة الموسمية ولا بالدابة البطيئة التي لم تنج صاحبها وأصبحت شيئاً منسيا وهمس لتلك الفراشات المنكسرة الأحلام على أشواق، لم تكن حزينه بالمرّة، ولكن الخيبة الكبرى أن ذوي العجلات الفخمة، هم خارج غوغاء أثر الشهداء وغوغاء الشغب والرفض والاحتجاجات فهي مسكونة بتقاطع نزوات النرجسية، مع القردة، فهي بين مؤيد ومعارض لحرق الحمل حتى الرماد، فالأشكال تبتلع كل الألوان العالمية، بدون استثناء، حتى بقيت جزاء مهما من المضمون عبر كل العصور الدفينة كل العرب يمقتون اللون الأسود ويتمنى أن لا ينتمي إليه ولو كان لو صحابيا جليلا وهو يقف بجانب سيف ذويزن سنة 575م في تحريره اليمن من الأحباش وزاد سروره لما أستجدى بكسرى فلب له الطلب لأمداده ببعض الجيوش حتى خلفه على أرض صنعاء ابنه الملك معدي كرب، حذرت كبير القردة أحدهم، من أن يعيد اثاره قضية أبي ذر الغفاري وما حدث مع الصحابي الجليل بلال، الذي لم يعترض طريقه أحد من الشيوخ فظلوا خارسين طوال الدهر ولا الجازية وبعض تفاصيل مقتل الطفلين ونجران وأهل الأخدود، كل شيء يصبح في خطوط الممنوع والخط الأحمر، هو أكثر من الممنوع وأقل من المحرم طلبوا النصرى النجدة من قيصر الروم يوستين الأول و ماتزال رائحة ققط تخشى من تلك الهياكل الفارغة والجمام الغائرة للطفلي، وهي تتجول ببعض الأحياء القزديرية الفحمة، هذه الققط التي دهستها شاحنات مفاجئة قريبا من الأندلس تبعث بعض الروائح الكريهة. المهم اتفقنا أن نشعر آلهة المعبد بذلك، حتى يصنعون لهم جوازات أو اشارات المرور والابتعاد من أرضنا للمرة الأخيرة، وهم يشعرون بفضاعة ما يثير استفزاز لوم الألوان والبحث عن الذات، حتى لا يغضب عنا كبير آلهة المعبد قيل أن أول من سئم، ثم علم بعدم جدوى هذا الاحتجاج استيقظ ما أن خطى على الرصيف المقابل حتى أضرم

النار في نفسه وتركهم، أن يستمروا في دفع الجزية التي أقرها البابا الفاتكان في روما، ليبقى الكل تحت أمر ملوك الأسبان والضرية الصلبة كروزادا وذلك للاستيلاء ومحاربة إفريقيا وشمال إفريقيا، إذ مازال بعضهم يظن أن لكأن الكل تحول الى تهجين الألوان هناك خيوط ربط خفيفة في جينات وخلايا وكوريات دم هؤلاء..قالوا الجواري في أنفسهم يجب أن نشغل كل التخمينات لو خرج الدجال يزحف للمرة الثانية لعلمنا جيدا هذا اللغز، لكن ربما هؤلاء آبائهم بيض وهم سود مثل أمهاتهم، هؤلاء أدن القراصنة البيض الذين تحولت جلودهم الى اصفرار مقزز، وكأنها عديمة المجرى للدماء. فكانوا كل يوم يمر يعلموا فيه أنهم أقربوا من الهدف، من الفايكنج شعب اسكندينايا الذي اشتهر بقراصنته في القرن الحادي عشر والثاني عشر سلبا ونهبا ضد الدول الأوروبية، أردفت واحدة كانت تنظف أظافرهما من بعض نتف الأوساخ، وقد كان هذا حتى في عصر الأمير عبد الصمد بن الحكم، بقيت الطيور فوق الأعالي متوجسة حدوث شيء ما أو عبرة من ريش الخفافيش والغربان، بقيت تلك الطيور وهي خائفة وتغرد بتقطع أصواتها، كالموشكة على الهلاك، حيث أغاروا عليه المجوس الرومانيين النورماند، أي اقتحموا اشبيليا الأندلس هؤلاء العجمة، هم قريبي سلمان الفارسي فنكل بهم المسلمين المورسكين التي أجبرتها على الموت، وبعضها على الاستسلام تحت مقصلة الحرب وآلات الدفاع الذاتي التي تسفك حتى بقاذورات الضحايا، وعظامهم لتتركها رميما، زاد التحديق وجها لوجه، بدأت الهمهمات من تحت الكمامات، نظر في بعضهن البعض، ثم شرعنا في نزع ثيابهن، بدأ بالكمامات وحملات النهدين حتى بقين عاريات عكس الجازية وبدأن الواحدة تلمس الأخرى في مناطق ضعفها، وفي كل الأماكن، هم بسمك جبس مربعات مائية يسبح فيها كيفما شاء، وفي كل اتجاه ظللن يرتشفن الشاي من كؤوس

ذهبية اللون، وكل واحدة منهم تحاول افتعال حركات لاحتلال نفسية الآخر، والانهام به، ويضحكن ملاً جفونهم، واهداهن الطويلة الزغيبات، يتكلمن بأصوات عالية دون خوف، ويتمايلن بعيون ناعمة كالحوثة البحرية التي نصفها أدمي والآخر من جنس الحيتان يعشقن الشذوذ الجنسي الى حد الهوس، ولمهن كل الجرأة لامتحان أجسادهن من خلال رغبة الآخرين. كانت الأمطار بدأت في رش رذاذ خافت لا يقوى على اطفاء النيران المتقدة، ببعض المنازل العربية وكانوا قد تعبوا من السير، لم تكن تخيفهم قساوة الطبيعة، لقد تصلبت حياتهم منذ أن بكت أيادهم وهي تصطدم قبضاتها بارتدادة الفؤوس وهي تشد في الصخور الصلبة أولاً، ثم ترتطم بصلاية الأرض، فلم يطمحوا مطلقاً برغدة العيش، هم في نقلة نوعية لما يروه من تقدم وحضارة أول مرة. صعّدوا عدة طوابق وجدوا الزاوية التي كان يحرض منها أبناء الزانيات على قتل المتمردين حسبه، فيما التفوا عن الأمكنة، حيث تاهوا هائمين فقط، ومع ذلك وقد تعمقت الهوات بذواكرهم، وقد ينتابهم خوفاً سيسع قلوبهم اخفاقاً، أضرمت النيران في بعض المعارضين، أستفتت كبير المغورشين عن معنى العقد النفسية التي كبر بها الأطفال العرب، وأصبحت منذ ذلك الحين هي مصدرهم الأساسي. فكانوا الحملة كلما صادفوا أناساً أبدوا مبادرين بالتحية هم الأوائل دون أية موارد أو خوفاً ما ينسجه الأطفال مستقبلاً، بحيث أنهم لم يروا حرجاً في طرح السلام وعلى أية حال اليوم، لزم عليهم التحرك بحذر شديد ليس كبقية الأيام، إذ علموا أن بين الطابق والطابق أسماك تسبح في مياه عذبة، والمغطى بالبلاستيك الخفيف يئن بين الفينة والفينة، بدأوا يفكرون بكل بساطة لمغادرة كل تلك الحواجز النفسية والمادية، انتهت أقدامهم أمام بوابة خشبية ضخمة بها مسامير تزن نصف رطل، من الثقل والدفتين عاليتين علو الجدران، فكانوا أولئك الذين يملكون أدق الأشياء عن هذا المدخل، قد

تصارعوا في الانطلاق قبل أربع ساعات على الأقل، ما أن تتهدنا حتى إنفرجا مبتعدين، عن بعضهما البعض، فلم نستطيع الرؤية، أكوام من الهياكل العظمية وأشلاء السيارات والخرذوات المغروسة في الأرض، عليها علامات أوربية بلغة غير مفهومة لاختلاط أشكال كلماتها بالطين والوحل والرمال البحرية، ووجوه كأنها تبتسم إليهم بلا سبب ودون جدوى، هم بقايا حروب الثلاث مئة بين الجزائر وأسبانيا والى حد الآن لم ننته من مسيرة الدماء ولم تنته شلالات الدموع المحتاجة الى منديل، بحجم السماء. جاء القرن العصيب في الساعات الأولى من الفجر، وأثناء ذلك كان بعض السعاة، يودون اعتراض طريقنا، وقوافلهم تخرج من جهة محتملة غير أن القافلة التي كانت تحمل أشخاصا لهم دراية بالأرض، ودراية حتى بالموتى الذين رحلوا منذ قرون، حاولوا التوحيد بين المقابر العربية ذاتها، لكن الدجال الذي ظل يزحف حتى بلغ فم الجازية، انقطع تنفسه وراح يمتص شفيتها وأقر أن التوحيد هو ضرب من المحال، وأن بعض الأموات يعيشون في سرية تامة حتى على ملك الموت، هؤلاء ذومها لا يكثرون الكلام والثرثرة مع، أي كان مع أنهم لم يكونوا البتة أفضل من بقية الفرق أفضل حتى من العفاريت البيض، فهم ذوي أصول عربية عريقة الدم الا أنهم يصلون الى النتائج في أقرب وقت، هم أحفاد بقية أهل تلمسان المتذمرين من يهودهم أصحاب البلبلة في البقعة العربية، هم أهل تلمسان، أي هم الذين استنجدوا بعروج وبقايا أهل الجزائر، لكن أين حملة الكردنال خمينيس ضد الجزائر بقيادة ديا قودي قيرا انطلاقا من الأندلس، مما زاد محنة الأسبان، مابداً لهم أن يعضوا على أصابعهم من شدة البرد القارس ولا يشد الحبال حتى لاتفر منهم بقية السفن، فراحت الزوابع توقظ الصخور والأشجار اليانعة كي تستعيد الأشجار كل ما فقدته من تلاقح عبر مر السنين، وهبوب رياح و عاصفة هوجاء من جهة الشمال، حطمتا صخور باب الواد

فخارت القوات الاسبانية..فجاءتهما فرقة أخرى بعد أن نزلت من أعالي النوافذ الجدارية،ستتحول أجسامهم الى مجرد رفاة منتشرة كخرق بالية مطلية،أومنكمش حولها دماء يابسة سوداء،اشتبكت معها في معركة قاسية عنيفة،وقد حال بينهما غزارة المطر وانطلقت الصيحات والصرخات حتى أن لأحد منهم شعر بذنب ما،يقترف في حق الأبرياء،انسحبت جثث القتلى كفسخ غشاء الثعابين وتركت عظامها لتو،وبدأت الأمور تزداد تأزما تأزم ذلك،الغبار في الهواء فأختل الجيش المتعدي،فبادر حاكم المقاطعة إلى سد عليهم الطرق و حرقهم حتى الرماد،امتألت الأجواء بغبار العظام وتشوه شكل الطبيعة وسط الغوغاء،ثم تتحول عصر بعد آخر الى مروييات أمهات الكتب الصفراء،بعد أن هداً جحيم النيران أغلقت الأبواب و اتخذنا المسيرة الخلفية ناحية وادي الشعاب حتى لا نصطدم معهم و إلا نصطدم مع رجال الأندلس المهاجرين من اسبانيا الذين ماتزال جفونهم ملاً بالعمش ووسخ السهد وألبستهم مكتوية بنار حفيف الأسلحة النارية.فكاد أن يسقط من أريكته فيليب الثاني الملك الاسباني أو من أحد كتب التاريخ لما علم بأن جلمهم يحسن الرمي والفرس لم يستولوا على اليمن الا بالمشقة حتى ظهر فجر محمد {ص} من سنة 797م وعلم فيليب أن من بينهم عشرة آلاف من المسلمين الذين أكرهوا على مغادرة الأندلس ابتسمت الجازية خصوصا دون السماح لهم،حتى الالتفات وراءه ملأى سبب كان،حيث أنهم فقدوا حميرهم وبغالهم وأماكن ربطها رغم أنهم ونخوة أشعارهم العربية.فلما نشبت المعارك في ما بينهما،سد عليهم العرب المجاهدين المنافذ المؤدية للسفن حتى لا يتمكنوا من الفرار ازداد هلع اليهود الذين توافدوا على الأراضي منذ القرنين الرابع عشر والخامس عشر،حبست أنفاسهم كفئران غزو للمدينة على حين غرة حتى ملامحهم الخائفة،مافتئت تحيل على أصولهم اليهودية القديمة المعروفة بالجبن،زاد حماس عروج

فكاد أن يرقص بطربوشه الأحمر وهو يرى القتلى والأسرى في صفوفهم دون هوادة، لقد أطلقوا سيقانهم للريح منذ مدة مستعينين ببعض الخونة للخروج بأقصر منفذ بعيدا عن السلاسل المعلقة كالمصاييح، ثم تهوى بالأجسام كطامة كبرى، تنبعث من خياشمها الدخاخين الفوارة من حميم الأرض المتغذية كلسا بعظام الموتى والشهداء، وهو ما يزال في مشادات عنيفة مع أبيه خشية اغتياله خطأ و حول امكانية شد الرحال ببغلتته، نفخت الأصوات في الأبواق فرت الغربان والذئاب، وتحولت العامة الى أشكال من العرائس الجلدية اليابسة خوفا من التعذيب الشنيع وفضاعة الألم وأستغاثت العجائز أن بخور ليلة القدر لايجدي نفعا، حتى ملأوا فراغات ما بين السماء والأرض دخانا كثيفا تسرب حتى ماوراء البحار السبعة، طاردا أصوات البوم نحو جزيرات لايدخلها الا الغرباء من الطيور وبني آدم وبعض الدواب مثل البغال والحمير، لكن ما أن عاد واحد منهم حتى أقنعوه بأنها حدث أن أغمي عليها، خوفا من أن ينكشف أمر بلادتها في علم الحساب وأوقات الفصول. تسلمت أحد الغلمان المشاغبة من خندق كبير متريا فرأت ثلاثة حوافر دابة على الأرض ضخمة كالصخور والرابعة هي لأحدى خيول طروادة، وهي قالت هناك خمسة حوافر لهذه الدابة، فخافت الغلمان اذ ذاك وهي عائدة على عقبها، ثم فرت هلعا، لتختفي من مشهد هيكل دابة آخر خرب ووسخ ومتداخل الشكل، كالحارات العربية، كانت تتجول بداخله بعض الزواحف وريش غربان توحى بالدمار الرهيب، ففرت نحو بناية ضخمة شاحبة اللون والزخرفة ومتداعية الهرم قيل أنها فارسية شيدها آل ساسان في الألف الرابع وقبل من طرف الأحمنيين في ظل داريوس الكبير، فهنا بدأت تشكك بعض القردة في هويته وصدق رؤيتها وجل هذه القردة، بدأ يصعد ويتسلى نحوسقف العمارة، وهم يرنوا بعيدا بحثا عن التربة التي سقطت فيها متخلفة عن الرتل، وفقدت عليها

عذريتها، ثم تنزل بداخلها للكشف عن نوعية طاعمه وسلوكاته وأهو فاريسي أم وثني أم عربي جلف أم بدوي متعصب..وفي الصباح الباكر، نادى حراسها كأنما هي منهمكة في شيء عظيم، وإذ هي تأمر مستشريها إن هي فرصة ثمينة لو يحضروا لها سحرتها شيء من نوادر كتب الحساب لدى الفراعنة أو اليونان، أما هو بأن زمنه قد فات ولارجعة للعيش بينهم مثله مثل سذاجة صاحب الدابة، إلا أن جاءت الكلاب صامته من كل جهة ودون نباح، وكنا ان ألقى عليهم القبض بين مطاطتين أحياء وفي كل مرة نستيقظ على أمل الوصول إلى كبير آلهة المعبد، طافت الصبية حول جدرانها تبركا به دون أن يعاودوا تلك الجماهير أحداث الشغب من جديد.توقف العبيد أمام الباب طويلا، رغم الرشاوي التي دفعوها حتى تبين لهم أنهم لم تجدي نفعاً، لست أدري من الذي دبر للقردة حيلة فقدان المفتاح الرئيسي للباب، واقتفاء أثر الدابة منذ انطلاقتها، فلما أذن لنا الخدم بإمكانية الاستراحة كنا قد قطعنا أشواطاً كبيرة من السفر حين صادفناهم، لأول مرة داخل زقاق مظلم يوجهك فيه الأصوات المجهولة التي لاتعرف مصدرها البتة، فليدخل كبيركم هو الأول ومعه طبق من ذهب ونياشين عبيد ولا يتهالك السرير حتى يأذن له من خلف كوة الباب الذهبي المنحوت بالخشب، ثم تراجعوا عن الداخل الأول، فتحوا لنا الحواجز و صاحوا هيا! ادخلوا من هناك! وإلا سحقتناكم بحملكم إرباً إرباً دخلنا نفقا مظلماً حالك يتقاطر سواداً يؤدي في أقل من شبر إلى مغارة سدت على مداخلها خيوط العنكبوت الكبيرة جداً، وأنتشرت عبر أبوابه عدة قردة بعضها فوق الصخور والأخرى تعشقت التطلع الى أصابعنا كصبية مرده مغرمة بقطع الحلوى، فجأة فر غراب وتفرقت على أثره كل تلك القردة من مختلف المشارب، وأصنام نساء وهن شبه عاريات وشاهد كان يتمتع بمجوهن الخليفة المعتصم، هناك بعض علب السردين وعليه قطع الفرمج مرمية على غير هدى

وأحذية جنود يابسة مشرّبة، نحو السماء، خيوط في حجم الأحبال صرفنا خيطا بمشقة النفس، و دخلناه على سقفه يحيل على أعشاش الغربان، وطيور الكواسر كانت جدرانها المقعرة تبعث برودة شديدة في أسفل الجدران، وأنين شبيه بالنجدة يدوم حوالي قرن ونصف.. وحسناوات كن يوزعن البسمات مجانا تحرك بعض الخلق خلفهم أعياهم اللهث والجري خلف المستحيل، فماتوا في نصف المسافة المتبقية، فقبل أن تفيح رائحتهم أمرت بأن يلقوهم فوق ظهر ذلك البغل الرمادي، الى حيث كلاب التعساء جحور الأفاعي والثعابين، فلم نتوقف حتى خرجنا في الضوء حيث بحيرة تطل على شرفات القصر يبدأ وأنه كان نزلا لعائلات جد شريفة وتوالت عليه الأسر الواحدة تلو الأخرى، ثم أبواب زرقاء، لمسناها، انفتحت للحظة، تخلصنا من الرؤى السابقة، فوجدنا في صدورنا أطفالا لا يتعدى سنهم العاشرة، بعضهم يحمل رايات بيضاء، والآخر في يده صخور بضة بحجم أناملهم الصغيرة، واقفين في صمت مذهل، ونظراتهم الحادة تمزق قلوبنا الهشة تكدست الصور في عيوننا وبزغت وجوه سرعان ما تتحول الى حطب ودمى تحركها خيوط طويلة والأرض تبتعد عليهم كلما حاولوا الاقتراب منها حتى وصلوا الى نهاية الحدث، أسدلت الستائر ونسفت الشفاه رموش الشموع، فلم نتمالك أنفسنا حتى كان فرسان القديس يوحنا يستزيدون في بث الرعب والفساد، ورسن الخيول يتحرك في كل الاتجاهات، رجعنا القهقري حيث الاختفاء، دلفنا نتدثر بالصخور الكبيرة بين الاخضرار المتعالي وأقدامنا تطأ تلك الحجارة المندية بالماء، مرة تتحسس خطانا خوفا من تلك العقارب والأفاعي وأخرى من التي مر بها بنو حفص، وهم يحكمون تونس و طرابلس والشرق الجزائري أو هي التي كانت ترشق أبرهة مع أعوانه والطير الأبابيل من فوقهم ترميمهم، والفيالة هاربة إلى حيث؟ انتشر الخبر سريعا دخلهما الريب في أمرهما لأول مرة، فوجئ

بالرفض من كل الجهات وسفكوا، بحافظي الأغاني الشعبية المخددة لأثرات العرب وحبش اليمن ويهود الأندلس وبربرقسنطينة أي عشائر قبيلة زواغة النازحة من اليمن قبيل حتى التاريخ نفسه، فعلموا العرب وغيرهم أنهم و إن طالوا به ربما سيموت جوعا و تفوح رائحته ويأكل جسمه الديدان، فهموا الأمر بتعليقه على خشبة مشنقة ساحة عمومية هي كانت خصيصة، لقتل أبناء الزانيات وليتفرج فيه المارة من كل صوب وحذب، ثم يدور حوله الأطفال وسط حلقات كبيرة، ولما يحاسبوا عليه بالموت هم كذلك! فليكن مدخلهم من ثقب إبرة إبليس، قالت الحكاية التي لايتكرر حدثها الا مرة واحدة في الزمن، ربما الخيط كان أكبر من الفوهة، احدهم ألح عليهم أن يخفضوا من أصواتهم، فالغربان بدأت تحط على أسلاك أعمدة الكهرباء كشارة على حدوث جيفة لامحالة حتى لا يشيع امرنا فنكون من الهالكين قبل أن تبثر أعضاءنا رويدا رويدا، وضعوا الحمل لمدة أكثر من أسبوع كالرحالة المتلف عن الطريق، و قدعلموا أن جل أقاربهم قد لقوا حتفهم أمام أبوابهم على يد السادة والدرويش يصيح ويدور على جميع الأجناس ويكبر حتى يفزع من الأطفال دني من بعض الجالسين وقال وإن عاكسوا هم كذلك السير تفر الأسماك، تأتي الرياح فتتلف كل الأشعار العربية، بما فيها قصائد أحمد مطر ودرويش ونزار، وتمزق شراعاتهم و تحول مجرى السفن إلى وجهة أخرى، لكنهم يشعروا بمرارة الدوق و بالشوق إلى الأموات والى استحالته.أخلطت القردة كل طلبات الجمهور، حتى أختلف الدروايش فيما بينهم، ليبقوا أكثر من أسبوع حسب هذا الغسيل الحائل لونه، وحسب حراس الملاحة الذين عاينهم من بعيد كحبات رمال مهاجرة عن طريق عدسات الرؤية المخترقة الأجواء، ورياح بعيدة تبدو أنها تحرك شراعات في الاتجاه المعاكس، فتحت العدسة الثانية، نشب صراع مريز فوق السفن،، عم السكون وبقيت الجثث ترواح مكانها قرب الجبال

الشبيهة بالجبال الأندلسية، خرجن النسوة من ردهة بداخل السفينة كالمسرحية هلى الأطفال، ثم سقطوا دفعة واحدة على مصرع خشبها أمام حراسها، فمن الجهة المقابلة حساسية الموت والفتاء، بدأت تزداد بغياب لاقرار له، ملئت الرؤيا كان الهجوم على مسرغين من الأودية الكبيرة للصخور والجبال ولم يتوقف العنف، بهذه الأرض وهيتنذر بخيانة قبيلة جيزة قرب المرسى الكبير، لوهراى تغيرت الى ألف بسمة كالرحباء ذى وجوه منهكة بالعار، فوحة مكللة ينز جزء منها بالهزيمة العظيمة على جثث الأبرياء، ثم دفعت زرا المنظار، شهدت الدماء الأمكنة والمراسى لاىكدر حالها سوى تلك الروائح الكريمة للأجساد الخائنة، ورأيت الشهداء يدورنا حول الأرض والشمس تدور حول آرائك أمراءهم، والقنافذ هاربة والمعاقين فى تظاهرة عارمة والجازية أصيبت، بالتحول الكبير، بدأ المكان يتسع ودوى الرعود تضيء فجأة على الزوايا الأكثر ظلمة، للشوارع الأندلسية، وأبواق الصناج فى كل صبيحة، ينذر بتصادم أحد المتمردين مع رجال هم من خشب قيل هم ملك للزمان الخرافى، اهمهم النوم وأنانية الحب تندفع بدواخلهم،، لكشف اللحظات الأولى طوال الرؤية الحادة هزموا كل شىء دفعة واحدة، فأوليت رؤياهم بإحراق الحطب والعظام الكلسية، تتصاعد الدخاين وينفخ الجيش الريح فى أبواقهم الطويلة، ربما شارة للمدينة الجديدة بما فيهم الشهداء، تعبت الأرجل من الحمل والقردة المترقية الى ملشيات الزمان تزيد من روعها، وأن حية تنفرش وتحف بتجفيف كل مياه الأرض تساقط فوقها رماد الجرح، أحست بغيار فوق ظهرها على شكل رماد أبيض، حتى يسد مسامات جلدها، ثم تنكمش منسحبة بمحض ارادتها دون، أى خطر على التراب، ذات سبعة رؤوس ملتوية الأعناق، تخلصهم كثيرا من عذاب الليالى وسياط الملك! تراكمت تحت جميع الوجوه الغاضبة..نادى الدرويش صغير الدروايش وصاح فى وجهه هيا أضرب

البندیر وأصرخ حتى تنفجر حنجرتك ورثتیک قبل أن تطلع الشمس الصيفية، بدلت الطامات الكبرى ما في وسعها، للرحيل من الوديان والوهاد، ثم سرعان ما تتحول الى أعمدة نخيل وصخور وجبال شامخة مصنمة، قصفت عن آخرها الى أن أصبحت مجرد أكوام من الجمر لا يبعث عن الروح، أمهلهم كثيرا النوم العميق كأنهم اختاره، حين من الدهر بدوا لهم أنهم ترقبوا الأمر مدة ألف سنة على خشبة المسرحية. تجردوا الجند من جميع الأسلحة وتركوا إلا سياط واحد في يد درويش طاف فوق جدران القلاع العالية، كالتيس معصب العينين، ثم أمره تحت الإكراه الجمع، بين قصر الحمراء والأسود الرخامية الاثني عشرة، الماء يجري من فاهاتها، ثم وأن يعد الأسماء من الواحد حتى العشرة دون بلوغ العدد الاثني عشرية حتى لا يتفقد الناس المهازل الشيعية وهو في ذلك في آخر يوم، قبل يقظتهم ومغادرة أسوار القلاع الحصينة.. تسمر على رؤوسهم شيخ كالملاك نقر عظامه، برجفة سرت من تحته قبل أن تزوره نزوته الجنونية، كجذب شيعي في صرعه وهو يخلط بين الصوفية والتنسك والرقص المجوني، رجع عدة آراء تهدمت بمجرد أن علموا أن هناك شهادات حية من أناس ما يزالون يتداركون ذلك رغم تقدم سنهم الى القرن أو ما يزيد، كأنه يطل من فوهات الجنة، يتنفس بوجه طفلة بريئة تصدق الا نفسها وكذبها الأحمق في هذا العالم، لأحد يري أو يود مخالفتها. كان يسير فوق أجسادهم المسيجة بمهل ومن حين لآخر ينظر حوله، كمن نسي شيئا ثميناً أكثر حتى من شعرا المتنبى ثم أخرج من حذائه قطعة قماش ننتة وأنزلها داخل جيبه وصاح بأعلى صوته، أرفع رأسك يا هذا لقد جنتك برسالة مجهولة التوقيع ومكتوبة على خرق القماش من عرائض الفوضى، لأن تتلوها على مسامع الحاشية، دون أن تفتتح ذلك بالبسملة وفي الختام تنفخ فيها وتأمّر بهدر دماء كل، الذين توجعوا تدمرا من اللحظة المشهدية منذ الآن، أو يظن ذلك بينه وبين

نفسه حتى غدا يميل الى تكذيب نفسه خارج اطار القانون والعرف الدولي، فاذا أقفل على ذاته تذكر الكهف الذي نام فيه ولما أستفاق على استغاثة فراخ حمام، كانوا قد فقدوا أمالهم وكل شيء وجد أن الصخرة سدت مدخل الكهف، حيث لامنفا للضوء بعد ذلك لا يعرف.. دخل هذا السرداب مرة أخرى، جرى من ورائه الجند والوشاة، والخدم والرعية المرتزقة، بأبخس ثمن وكلاهم وراءهم والرماح في أياديهم واجه كبيرهم بالسؤال، هل تعرف من أن شيئاً ما في القرى والمداشر الصغرى حدث، يبدو أنه لا يبعث على الفرح والراحة.. الرواق بدا طويلا والغرف الدامسة تبعث صعقات كهربائية تنير حلقة الظلام أخافت حتى القطط، بحيث لم تعد ترسل وتتبادل رسائلها داخل مواءتها الطويلة في ما بينها من على أسوار المدن ليلا، وهي تبرق بعيونها نحو الخلق الذي يتجمهر داخل وخارج البنايات في حيرى فارغة من أمره، والدرويش يلتمس منهم الدوران معه حول الحلقة الكبيرة التي أقامها دون استئذان ذاته المرحلة.. ماتت كبيرة القردة شائخة العمر، فحزن الغلام وشاء أن يسافر فغضب عليه أبوه فدبر له ابنه مكيدة، تولاه لوحيد، إما تناوله شرابا يغميه لعدة سنين، وإما يخبره بعزمه على اقتناء أكثر من مائة ألف لوحة خشبية، من بلاد العرب، لئن يحفظ عليها اثني عشرة معاقا وصبية، من أولاد الزانيات ويهود ومعهم الرق، آيات محرفة ومكتوبة بصمغ الطين.

نبذة عن الأديب

الأديب: الزين نور الدين

الدولة: الجزائر

nourddinezine@gmail.com



المؤلف هو من مواليد جيل الاستقلال 1968 بالجنوب الجزائري /بشار له العديد من الكتب و المقالات المنشورة بالصحف و الدوريات العربية بدأ بسنة 1992تحصل على العديد من الجوائز الوطنية والولاية بخصوص القصة القصيرة ، كما تجلت جدارته في الازدواجية بين النقد والابداع السردى والشعري ، مشتغلا على التراث العربي العريق في بعض محطاته المجحفة، وهو من الأصوات الأدبية الجديدة ، التي بدأت تطرح شكلا أدبيا متميزا، في ما يعرف بالرواية الجديدة انفتاحا على احياء الدلالة ومنتعة الحكى وأجمل ما في أدبه هو عدم الثبات على شكل واحد.
(عن جريدة المساء 1993)

- من مؤلفاته : 1- الكتابة والنص / نقد

2- رائحة الوشم / قصص

3- جنون في منتصف الذاكرة / قصص .

4 - سنابيك الأمير رواية

5 أنا الاندلسي /ديوان شعري

6 اعتراف وطن /ديوان شعري

7 القيرع/رواية

{...يتميز أسلوب الكاتب بخصوصية توحى بمستقبل في الكتابة الأدبية، لأنه يملك حساً فنياً عظيماً وهو ما استشفه منه الروائي جيلالي خلاص، بجريدة الخبر سنة 1999 وكذلك الناقد الأكاديمي بالإمارات العربية المتحدة عبدالقادر فيدوح والناقد البشير بويجرة وأذكر أن هذه الرواية هي طعم لشتى الأجيال...}

(بقلم: نوال/ع جريدة أدب وفن 19 - أبريل - 2011 العدد 15)